وليم شكسبير



عذاب الحب الضائع

تعريب

أ. ر. مشاطي

إشراف

نظير عبود

دار

نظير عبود

اشخاص المسرحية

فردينان	: ملك ناقار
بيرون	وجهاء من حاشية الملك
لنكفيل	
دماين	
بوايه	وجيهان من حاشية اميرة فرنسا
مركاد	
دون أريانو دي أرمادو	: فارس اسباني
نتنايل	: صديق
هلثفارن	: معلم مدرسة
بالور	: رجل أمن
تروني	: راع
فالان	: غلام أرمادو
حارس صيد	

اميرة فرنسا

روزالي
ماريا
كاترين
} سيدات من حاشية الاميرة

جاكينات : فلاّحة

ضباط وخدم

الاحداث تجري في نافار

الفَصل الأول

المشهد الاول

نافار — في حديقة امام القصر الملكي

(يدخل الملك وبيرون ولنكفيل ودماين)

الملك : ليت المجد الذي نسعى اليه طوال حياتنا يستقر الى الابد فوق قبورنا ، ويبسط علينا جلاله حين يظللنا الموت بجناحيه . وبالرغم من مرور الزمن الذي يبتلع كل شيء ، نستطيع بجهد طفيف ان نكتسب شرفا يفلّ حد منجل المنية القاطع ويورثنا السعادة الدائمة . ولهذا السبب ايها الفاتحون البواسل انتم تكافحون شهواتكم وتحاربون جيش رغباتكم الرهيب في هذا العالم . أما اتفاقيتنا

فستظل سارية المفعول ، فتصبح مملكة نافار أعجوبة الدنيا ، وبلاطنا مجمعا علميا مكرسا لازدهار الفن بحكمة وسلام • وأنتم الثلاثة : بيرون وديماين ولنكفيل ، قد اقسمتم يمينا على المكوث معي هنا مدة ثلاثة أعوام • وعلى التقيد بالنظام الذي ينص عليه هذا البيان (يشير الى ورقة) • وقد قطعتم عهدا على انفسكم ، بعد توقيع امضائكم ، بأن كل من يخالف بندا من هذه الاتفاقية يلوث شرفه بالعار • فاذا وجدتم انكم قادرون على الوفاء بما اقسمتم على تنفيذه ، وقّعوا هنا وقوموا بتعهدكم •

لنكفيل : انا مصمم على تطبيق ما ذكر • فالمسألة لا تقتضي اكثر من صيام ثلاث سنوات • وهكذا تكبر النفس على حساب حرمان الجسد • لان البدن الضخم يكون عادة مزودا بدماغ نحيل ، والمآكل الطيبة الحلوة ، اذا كانت تغذي جسم الانسان ، فانها تقود روحه الى الافلاس •

دماين : مولاي الحبيب ، انا منذ الان مستعد للتضحية ، وأترك لعبيد هذه الدنيا الفانية كل ما تحويه من مباهج باطلة • فاني أقلع وأتغاضى عن الحب والرفاه والفخامة لأعيش بتقشف كالفلاسفة •

بيرون : وأنا لا يسعني الا ان أكرر عين التصريح ، بما اني اقسمت، يا مليكي المفدّى ، على أن أحيا وأدرس معك هنا مدة ثلاثة اعوام • ولما كان لا بد من تحمل مشقة التقيد بأمور

صعبة التحقيق كعدم مشاهدة النساء طوال هـذا الوقت وقضاء يوم في الاسبوع بدون تناول أي طعام ، والاكتفاء باقـي الاسبوع بوقعة واحدة فـي اليوم ، والنـوم ثلاث ساعات في الليل بدون إغماض جفن اثناء النهار، وأنا معتاد على الغطيط في رقاد عميق طوال الليل ونصـف النهار التالي ، فاني ارجو ان لا تتضمن الاتفاقية كل هذه الشروط القاسية لان التقشفات المذكورة من درس وصيام وقلة نوم وعدم مشاهدة النساء أصعب من ان تتحملهـا طبيعتي •

الملك : مع انك قبلت بالامتناع عن كل ذلك •

بيرون : اسمح لي ، يا مليكي المبجل ان اقول لك اني اقسمت فقط على الدرس مع جلالتك ، وعلى البقاء هنا في بلاطك مدة ثلاثة اعوام •

لنكفيل : لقد اقسمت على تنفيذ جميع البنود ، يا بيرون •

بيرون : نعم ولا ، يا مولاي • انا لم أقسم الا لاجل ارضائك • قل لي بربك ما غاية الدرس ؟

الملك : معرفة ما لا يمكن الاطلاع عليه بطريقة اخرى •

بيرون : تقصد الامور الخفية والمعقدة التي لا يتوصل اليها الذكاء العادي ، أليس كذلك ؟

الملك : أجل ، وهذه هي اسمى مكافأة يمنحها اكتساب العلم •

بيرون : حسن • انا اريد ان أقسم اليمين للحصول على ما حرمت

منه . فمثلا : أقسم على السعي الى المآكل المغذية عندما
تُمنع عني الاطعمة الشهية ، وأن ادرس كيفية العثور على
خليلة لطيفة عندما يُحرَّم عليّ الاتصال بالصديقـــات
الحسناوات . وأخيرا ، أقسم على التقيد بشرط صارم هو
أن أهتدي الى طريقة للتجاوز بدون الاخلال بقسَمي .
فاذا كانت ثمرة الدرس فعلا معرفة ما نجهله ، فدعونـــي
أحلف ، ولن اتراجع ابدا .

الملك : انك تذكر هنا جميع المسرّات التي تحـــول دون الدرس
والتي تعوّد النفس على الملذات الزائلة .

بيرون : كل الملذات زائلة ، وأسوأها هي التي نحصل عليها بشق
النفس ولا تجلب لنا الا الشقاء ، والتي تجعل المرء يهدر
اوقاته في مطالعة الكتب بحثا عن النور والحقيقة ، بينما
الحقيقة في الواقع تعمي البصر بوهجها الباهر ، والمستنير
في هذا العالم يتوه في البحث عن الحق الضائع . وقبل
الاهتداء الى الحق وسط الظلام ، يصبح النور ظلاما فـــي
عينيه بسبب فقدانه ضياء ناظريه اثناء البحث . فيجمل بك
بالحري ان تتعلم كيف تكحل عينيك بالتأمل في وجه حلو ،
اذا استمالك ، يمسي هو نجمك الهادي ويهب نظـــرك
الكليل نوره الساطع المتلألىء . فالمعرفة كالشمس المتألقة
بمجدها في كبد السماء ، تأبى ان تتفحصها الابصـــار
المستهترة . اما الذين يكدّون بلا ادراك فلا يكتسبون الا

معلومات طفيفة مستعارة من كتب سواهم • لان مــــن يدّعي ملكية أنوار السماء على الارض لا يقوى الا على حفظ اسماء الكواكب ، ولا يستفيد اثناء عتمة الليل نظير التائه في جهله ، الا من مشاهدة النجوم عن بعد • فوفرة المعرفة السطحية لا تفضي الى اكثر من كسب الشهرة ، كما ان الدليل لا يمكنه ان يقدم سوى الارشاد •

الملك : ما هذا العلم الذي تريد ان تبرز محاسنه بتهجمك علـــى فوائده ؟

دماين : انه ملفان يمتاز بعرقلة كل عقيدة صالحة •

لنكفيل : هو يقتلع الجيد من الحب ، ويترك مجالا لنمـــو ما يجب استئصاله من ميول فاسدة •

بيرون : ويكون الربيع قد دنا عندما تفقس فراخ العصافير •

دماين : كيف ذلك ؟

بيرون : لكل حاجة مكان وزمان •

دماين : هذا غير معقول •

بيرون تمسّك بالقافية ان لم يستقم المعنى •

الملك : ان بيرون يشبه الصقيع الضار الذي يقضي على مواليـد الربيع •

بيرون : لكن ، لماذا يكتسي الصيف بحلة اخضراره قبل ان تلاقـي الطيور ما تغرد له ؟ لماذا أبتهج بمسرات هي سلفا زائلة ؟ ففي رأس السنة لا أتمنى الورد اكثر من الثلج لعـــودة

أعياد الربيع • انا احب كل شيء في حينه • وهكذا ، قد فات أوان انكبابك على الدرس ، فكأنك تصعد سلم البيت الى الطابق العلوي لكي تفتح الباب السفلي •

الملك : انسحب اذاً يا بيرون ، وعد الى بيتك • الوداع •

بيرون : لا ، يا مولاي الكريم • لقد أقسمت على البقاء معك • ومهما قلت انا في ذم شوائب العلم ، اكثر منك في مدح فضائله ، انا مصمم مع ذلك على الوفاء بما أقسمت عليه من التكفير يوميا خلال هذه السنوات الثلاث • اعطني الاتفاقية لأقرأها وأوقع البنود التي اجدها أنسب من سواها •

الملك (يسلمه الورقة) : هذا الامتثال يقيك مغبة العار •

بيرون (يقرأ) : «غير مسموح لأية امرأة ان تقترب الى مسافة ميل من بلاطي» • ولكن متى أعلن ذلك ؟

لنكفيل : منذ اربعة ايام •

بيرون : وما هو عقاب المخالفة ؟ (يواصل القراءة) «تحت طائلة قطع اللسان» • ومن الذي استنبط هذا ؟

لنكفيل : انا •

بيرون : ولماذا ، يا سيدي الكريم ؟

لنكفيل : لكي أخيف الجميع بهذا القصاص الرهيب •

بيرون : هوذا قانون خطر على مغازلة النساء • (يقرأ) «اذا فوجيء رجل وهو يكلم امرأة خلال الاعوام الثلاثة ، عليه ان

يتحمل التنديد العلني الذي يراه البلاط ملائما» • (يوجه كلامه الى الملك) هذا البند ، يا مليكي ، انت حتما أول من يخالفه • فكما تعلم ستأتي الى هنا قريبا ابنة ملك فرنسا لمفاوضتك كسفيرة • وهذه العذراء الفاتنة الجليلة قادمة لتسألك ان تتنازل عن مقاطعة الاكيتان لوالدها المريـــض المسكين طريح الفراش • فيكون هذا البند اذاً عديـــم الفائدة لان مجيء الاميرة الى هنا عديم الجدوى سلفـــا بالرغم مما يقتضيه من اهتمام ورعاية •

الملك : ماذا تقول ، يا سيدي لقد سهوت عن هذا الامر تماما •

بيرون : هكذا تتعدى الحماسة دائما القدر المطلوب • وإذ يعتـــاد المرء امتلاك ما يشتهي ينسى هدفه الاساسي • وحين يبلغ الغاية التي يسعى اليها ، يكون كمن استولى على مدينـــة التهمتها نيران الحريق ، فلا يبقى لديه فرق عندئذ بين الربح والخسارة •

الملك : سأسعى لالغاء هذا البند مهما كلف الامر ، لان الضرورة تقتضي اقامة الاميرة هنا •

بيرون : ستدفعنا الحاجة الى المخالفة ثلاثة آلاف مرة في اثناء هذه الاعوام الثلاثة • لان ميول الانسان تولد معه ، والرغبة وحدها لا تقوى على ضبط هذه الميول ، الا اذا اقترنت بجدية المثابرة • فان تنكرت انا لايماني ، لن اكون معذورا الا اذا اضطرتني الظروف الى ذلك • وبناء عليه أوقـــع

الاتفاقية بكاملها دون أي تحفظ • (يكتب اسمه) • امـا الذي يخالف ادنى تفاصيلها فسيوصم بعار لا يمحى • ان الاغراءات ذاتها تعترض سبيل كل واحد منا • ولذلـك أعتقد ، مهما أبديت من تغاضٍ ، ان آخر من يفي بتعهده سيكون الملك ذاته • ولكن ، ألن يكـــون لدينا وقت للترويح عن النفس ؟

الملك : اذا تم ذلك ، فان بلاطنا ، كما تعلمون ، يسيطر عليه روح الرجل المرفّه الذي يُعتبر زهرة المجتمـع الجديد ، لان دماغه موسوعة من نخبة العبارات الصادرة عن مثقـف تسحره موسيقى لغة آبائه وأجداده نظير نغم شجي • انه انسان مميّز اختاره الحق والباطل معا ليحكم في شتـى الخلافات ، أعني به صاحب الاهواء المدعو أرمادو الذي سيحكي لنا ، في تناوبه على تدريسنا ، مغامرات فرسان مجتمعاتنا الطاغية ممن قضوا نحبهم اثناء اشتباك عدد كبير من الخيالة الشجعان الذين ذهبوا ضحية مكايد حثالـة الناس • فالى أي حد ستهتمون به ، يا سادتـي ؟ لست أدري • ولكن بما اني لا احب الكذب ، أصارحكـم برغبتي في ان اجعل منه مستشاري •

بيرون : ارمادو هو من أبرع الرجال بعباراته المسبوكة البليغة ، بل هو الفارس الاصيل المنشود حاليا •

لنكفيل : عليك اذاً ان تؤمّن له التسلية بصحبة هذا البغل الغليظ •

فمعه ستمر السنوات الثلاث بعجلة كأنها ثلاث ساعات .

(يدخل بالور حاملا رسالة ثم يدخل تروني)

بالور : من منكم هو الملك ؟

بيرون : انه هنا ، يا صاح ، ماذا تريد منه ؟

بالور : أود ان أهتدي الى شخصه الكريم ، لاني مرافـــق مولاي صاحب السيادة ، وأحب ان اراه بلحمه وشحمه .

بيرون (مشيرا الى الملك) : ها هوذا .

بالور : السنيور أرم ... أرم ... لست أذكر ، يوصي بك خيرا . هناك بعض المشاكل ، وفي هذه الرسالة مزيد من الشرح.

تروني : ان روح السماحة المهيمنة على هذا المكتوب تغريني ، يا مولاي .

الملك (يتناول الرسالة) : رسالة من ارمادو المتفوق .

بيرون مهما يكن موضوعها هزيلا ، انا أتوقع ان تحوي كلاما هاما.

لنكفيل : كم من امل كبير يسفر عن نتيجة تافهة . ألهمنا الله طـــول البال .

بيرون : ألكي نسمع ، ام لكي نضحك ؟

لنكفيل : لنستمع بتروٍ ، يا سيدي ، ولنضحك باعتدال ، او لنمتنع عن هذا وذاك في كلا الحالين .

بيرون : المسألة متعلقة بجزالة النص الذي سيهزنا طربا .

تروني (للملك) : القضية تعنيني ، يا مولاي ، كما تعني جاكينات . المهم اني فوجئت على حين غرة .

بيرون : ماذا تقصد ؟

تروني : ها هي المشكلة ، يا سيدي ، موجزة بثلاث نقاط : اولا شوهدت جالسا بقربها تحت قنطرة البيت ، على وشك ان أعانقها . ثم بوغتُّ وأنا ألاحقها في الحديقة ، فأسفر عن ذلك ، التقرير الذي وصلك . هذه ، يا سيدي ، هي كل القصة بكاملها . اما مخالفتي كرجل ، فمحصورة في محادثتي امرأة . وأما التقرير ...

بيرون : ما مضمونه بالنسبة اليك ؟

تروني : سأفنّده لك حسب مفهومي الخاص . والله يحفظ لكلٍ حقه .

الملك : هل تريد ان تصغي الى هذه الرسالة بانتباه ؟

بيرون : إصغائي الى وحي منزَل .

تروني : رباه ! كم ينصت الانسان ببساطة الى نداء الجسد !

الملك (يقرأ): «المخدوع الكبير ، الوكيل السماوي ، المسيطر الوحيد على نافار ، إله روحي على الارض ، وسيد جسدي الذي يغذيه بأشهى المآكل» .

تروني : الامر المطروح لا يتعلق بي اذاً .

الملك (يقرأ) : هذا هو جوهر القضية .

تروني : لكن ، مهما يكن الحال ، ومهما قيل ، هو لا يساوي شروى نقير .

الملك : رويدك .

تروني : من منكم نظيري ، لا يجرؤ على المقاومة ؟
الملك : ارجوك ان تلازم الصمت •
تروني : عن اسرار الغير ؟ أستحلفك بكل عزيز •
الملك (يكرر) : ها هي القضية برمتها • فمنذ ان انهالت عليّ الكآبة من كل حدب وصوب ، شئت ان أخضع هذا المزاج السوداوي لهدوء جوّك المرح ، واذا بي اقوم بنزهة قصيرة • تسألني متى ؟ أجيب حول الساعة السادسة حين اخذت الحيوانات تبحث عن طعامها ، والعصافير تسعى وراء غذائها ، وحين تهافت الناس على كسب رزقهم بنهم • هذا من ناحيـــة الزمان • اما من ناحية المكان ، فأقصد حيث كنت أتنزه في جنينتك • وبهذا المكان أعني ايضا ، حيث وقع نظري على الصنيع المشين الذي أدى الى سحب ريشتي البيضاء كالثلج ، من البحر الاسود كالابنوس ، والذي تنظر اليه وتراقبه هنا عيناك الساهرتان • والمكان يقع في شمـــال شرق الزاوية الغربية من حقلك الغارق بالفوضى • وهنا لقيت الشاب ذا الطباع المستهجنة والفكر الضيق الـــذي يعكر صفو ايامك •
تروني : انا ؟
الملك (يقرأ) : هذا الشخص الجاهل ، القليل الذوق •
تروني : طبعا انا •
الملك (يقرأ) : هذا الحليف الضعيف •

تروني : دائما ، انا .

الملك (يقرأ) : الذي ، على ما اذكر ، يدعى تروني .

تروني : انا بالذات .

الملك (يقرأ) : يداعب ، بالرغم من بيانك المكتوب والمنشور ، وبالرغم من قصاصك الصارم . لا أجسر على الافصاح ، مع اني أود ان اخبرك من ...

تروني : يداعب فتاة .

الملك (يقرأ) : أجل ، ابنة جدتنا حواء ، أي أنثى ، وبتعبير آخر أرقّ ، يداعب حسناء . وأنا الذي بدافع احترامي المستمـــــر للواجب ، ارسله اليك لينال نصيبه من العقاب بحراســة رقيب تابع لسلطتك العادلة ، أعنـــــي به بالور صاحب السمعة الطيبة والسلوك الحسن والاخلاق الحميدة والثقة الوطيدة الراسخة .

بالور : انا ، بكل تواضع ، ادعى بالور .

الملك (يقرأ) : أما جاكينات ، وهكذا تدعى الصبية الهيفاء التي فاجأتهــا بصحبة الفتى الجريء المذكور ، فاني أحتفظ بها كرهينة بانتظار ما تلفظه هيبة القانون من حكم . وسأدعها تظهر بيننا لدى اول اشارة تصدر عن ارادتك السنية . ودمت معززا مع كل احترامي لشخصك المفدّى الذي أخصــه بأخلص مودتي .

(التوقيع : دون أدريانو دي ارمادو)

بيرون   هذا ليس بالجدّية التي كنت أتوقعها ، لكنه أفضل ما سمعته .

الملك   : نعم ، الافضل من النوع الرديء . ما هو ردك على ذلك ، يا مغفّل ؟

تروني   : مولاي ، دعني أستجوب الفتاة .

الملك   : ألم تسمع المنشور ؟

تروني   : لقد سمعته مرارا . لكنني قلما أصغيت اليه .

الملك   : أجل ، بلغني اعلان العقاب ، وهو عبارة عن السجن مدة سنة لمن يشاهد بصحبة فتاة .

تروني   : انا لم يبصرني احد بصحبة فتاة ، يا مولاي ، بل بمعية آنسة .

الملك   : على كل حال ، البيان ينص على آنسة .

تروني   : ولم تكن آنسة ، يا مولاي ، بل عذراء .

الملك   : هذا التعبير مذكور ايضا . لان البيان يشير الى عذراء .

تروني   : اذا كان الامر كذلك ، فأنا أثق بعفتها . اذ قد فوجئت بصحبة صبية رصينة .

الملك   : لكن رصانة هذه الصبية لن تفيدك بتاتا ، يا سيدي .

تروني   : بل بالعكس ، ان رصانة هذه الصبية ستفيدني كثيرا ، يا مولاي .

الملك   : ها انا أصدر حكمي عليك ، وعقابك هو الصيام مدة اسبوع . فلا تأكل سوى النخالة والماء .

تروني   : انا أفضّل ان يكون عقابي الصلاة مدة شهر ، وغذائي لحم

الخروف •

الملك : وسيكون حارسك دون ارمادو • يا سيدي بيرون ، عليك ان تودعه السجن • وأنا ، يا سادتي ، سأطبق رسميا كـــل التعهدات التي أخذت على عاتقي تنفيذها برمتها • (يخرج الملك بصحبة دماين ولنكفيل) •

بيرون : أراهن على رأسي مقابل ما تشاؤون ، بأن هذه العهود لا مآل لها قريبا سوى الاهمال والازدراء ، فالى الامام ، يا غبي •

تروني : يؤلمني تشويه الحقيقة ، يا مولاي ، لاني في الواقع بوغتُّ برفقة جاكينات ، وجاكينات هذه هي فتاة أصيلة • ففـــي سبيل الله اذاً ما ألاقيه الان من مرارة في كأس حلفائي • لان الحظ سيبسم لي يوما ما • ولكن ، الى ذلك الحين ، عليّ ان ارضى بتعاستي (يخرجون) •

المشهد الثاني

في قسم آخر من الحديقة امام منزل دون ارمادو

(يدخل ارمادو وغلامه فالان)

ارمادو : يا غلام ، ماذا تعني سيطرة الكآبة على رجل كبير النفس ؟

فالان : انها تدل ، يا سيدي ، على استسلامه الى الحزن .

ارمادو : لكن الحزن والكآبة شيء واحد ، ايها البليد المغفل .

فالان : كلا ، ثم كلا .

ارمادو : كيف يمكنك ان تفصل بين الحزن والكآبة ، ايها الشاب المغرور ؟

فالان : بإثبات النتائج المألوفة ، ايها الخبير العجوز .

ارمادو : لماذا تدعوني الخبير العجوز ؟

فالان : ولماذا انت تدعوني الشاب المغرور ؟

ارمادو : قلت الشاب المغرور ، لان هذا اللقب المناسب يليق بربيع عمرك المهدور الذي استطيع ان أنعته بالغباء .

فالان : وأنا قلت الخبير العجوز ، لان هذا اللقب ينطبق على خبرتك وعلى تقدمك في السن .

ارمادو : هذا جميل وملائم .

فالان : ماذا تعني ، يا سيدي ؟ هل انا جميل وتصرفي ملائم ؟ ام انا ملائم وتصرفي جميل ؟

ارمادو : انت جميل لانك فتيّ .

فالان : انا لست جميلا بمقدار فتوّتي . ولكن ، لماذا ملائم ؟

ارمادو : لانك ممتلىء حيوية .

فالان : هل تقصد ان تمتدحني ، يا مولاي ؟

ارمادو : أجل ، لانك تستحق كل ثناء .

فالان : يمكنك ان تكيل هذا الثناء لسمك الحنكليس .

ارمادو : كيف تصف سمك الحنكليس الذي لا يقر له قرار .
فالان : بأنه دائم الحركة ، فائق النشاط .
ارمادو : لقد قصدت ان اقول انك فائق النشاط في رد الاجوبة .
وانك بذلك تثير حفيظتي .
فالان : هل أعتبر قولك جدّيا ، يا سيدي ؟
ارمادو : انا لا احب ان ينتقدني احد .
فالان (على حدة) : لست انا الذي أنتقدك . انما الاوضاع هي التي
تبيِّن نقائصك .
ارمادو : لقد وعدت ان ادرس مدة ثلاثة أعوام مع الملك .
فالان : باستطاعتك ان تنفذ ذلك فورا ، يا سيدي .
ارمادو : هذا مستحيل .
فالان : كم تساوي ثلاث مرات واحد ؟
ارمادو : انا لست ماهرا في الحساب الذي يصلح لغلام حانة .
فالان : انت رجل ظريف تتملص ببراعة ، يا سيدي .
ارمادو : أعترف بأني هذا وذاك ، وكلتا الصفتين يمتاز بهما الرجل
اللبــق .
فالان : اذاً انا واثق بأنك تعرف كم يساوي اثنان وواحد .
ارمادو : طبعا ، اثنين وواحدا ، لا غير .
فالان : وهذا ما يسميه عامة الجهلة ثلاثة .
ارمادو : بالضبط .
فالان : ليس العلم اذاً بالامر العسير ، يا سيدي . فها قد حفظنــا

ثلاث مرات. ثلاثة بأسرع من لمح البصر . وكم تسهل
اضافة السنين على كلمة ثلاثة ، ودرس ثلاثة أعوام بكلمتين
تختصران امتطاء الخيل والرقص على الحبال .

ارمادو : هذا حساب بارع .

فالان (على حدة) : من المؤكد انك لا تساوي اكثر من صفر الى اليسار .

ارمادو : وعلى هذا الاساس ، أعترف لك بأني عاشق . وكما ان
الجندي لا يحجم عن التورط في أي حب يصادفه ، هكذا
اراني مغرما بفتاة رفيعة المستوى . ولو كنت استطيع
القضاء على انحدار ميولي ، لتخلصت من هذه العاطفة
المشبوهة ، وسجنت أشواقي النزقة في صدري ، ولم
أعتبرها ابدا كتحية ود في هذا العصر المادي الذي يجعلني
اجد الشكوى في الحب صغارة . فأراني مضطرا للتوسل
الى إله الحب ملتمسا رأفته . فلا تضن عليّ ، يا غلام ،
بما يعزيني ، واذكر لي أسماء العظماء الذين وقعوا مثلي
في شرك الهوى .

فالان : هرقل ، يا سيدي .

ارمادو : يا لهرقل المجيد ! اذكر لي ايضا سواه ، يا غلام . وليكونوا
يا بنيّ من ذوي الشهرة الواسعة والاخلاق الرفيعة .

فالان : شمشون ، يا سيدي . فقد كان رجلا فريد الاوصاف ، حمل
ابواب المدينة على منكبيه لما كان له من قوة خارقة ، وكان
عاشقا متيّما .

ارمادو : ايه ، يا شمشون الجبار ، يا صاحب العضلات المفتولة ! لقد فقتك دهاء في معالجة المواقف ، كما فقتني قوة في حمل الابواب ، انا ايضا عاشق . لكن ، من كانت حبيبة شمشون ، يا عزيزي فالان ؟

فالان : امرأة ، يا سيدي .

ارمادو : من أي لون ؟

فالان : من احد الالوان الاربعة المعروفة ، او من اثنين او ثلاثة ، او من جميع الالوان ، لست ادري .

ارمادو : قل لي بالضبط . من اي لون ؟

فالان : كانت خضراء كماء البحر ، يا سيدي .

ارمادو : هل هذا احد ألوان الجلد الاربعة ؟

فالان : حسب ما قرأت ، يا سيدي ، هذا احلى الالوان .

ارمادو : ان الاخضر فعلا هو لون العشاق المفضل . اما ان يكون لشمشون حبيبة تميل الى هذا اللون ، فانه ، على ما يخيل اليّ ، لم يكن لديه ما يحمله على القبول بها . حتما ، كان شمشون يحفظ لها الود تقديرا لنفسيتها .

فالان : بالضبط ، يا سيدي . لان نفسها خضراء .

ارمادو : حبيبتي لون بشرتها ابيض ، ولون وجنتيها احمر . وما انقى وأحلى الوان حبيبتي !

فالان : هي أنقى من افكاري التي تختبيء ، يا سيدي ، خلف قناع هذه الالوان .

ارمادو : أوضح ، وزدني ايضاحا ايها الولد النجيب .
فالان : يا روح ابي ، ويا حنان أمي ساعداني .
ارمادو : أوضح ، وزدني ايضاحا ايها الولد النجيب .
فالان (ينشد) :

ان كانت حبيبتك تتصف بالبياض والاحمرار ،
فلن تعرف اخطاؤها الا سبيـــل الانتشار .
لان احمرار الوجنات يكشف عن الذنــوب ،
والخوف يفضحـــه التردد والشحـــوب .
وهكـــذا ان كانت خائفـــة او مخطئـة
لن تبرز ذلـك ألوانها بل عواقب المعصيـــة
وإلا لم تجد في خديها دومـــا لون الـــورود
تستمده بصورة عفوية من مباهـج الوجود .

هذه ، يا سيدي ، بعض الاشعار التي تذمّ الابيـــض والاحمر معا .

ارمادو : أولا تعرف ، يا غلام ، أنشودة عنوانها : الملك والمتسولة ؟
فالان : أخطأ الناس بترويج مثل هذه الاغنية ، منذ حوالي ثلاثمئة سنة ، لكني بتّ أعتقد الان بأنها اصبحت نادرة ، ويصعب الاهتداء اليها . وان وُجدت ، فلا سبيل الى ترديد كلامها او لحنها .
ارمادو : سأعيد نظم الابيات في هذا الموضوع ، حتى أتمكن مـن تبرير انزوائي بسبب بعض السوابق الهامة . يا غلام ، انا

اهوى هذه الفلاّحة التي فاجأتها في الحديقة مع هـــذا
الحيوان الناطق تروني • على كل حال ، هي فتاة تستحق
كل اعتبار وتقدير •

فالان (على حدة) : أجل ، انها تستحق ان تجلد بالسياط ، وأن لا يكون
لها عشيق افضل من معلمها •

ارمادو : اطلب منك ان تغني لي ، يا غلام • فالحب يرهق قلبي بالهموم
والأكدار •

فالان : غريب جدا ان تهوى انت فتاة لعوبا مثل هذه •

ارمادو : هيا انشد •

فالان : مهلا حتى تتجاوزنا الجماعة السائرة وراءنا •

(يدخل بالور وتروني وجاكينات)

بالور (لأرمادو) : يا سيدي ، اصدر الملك امرا بأن تحتفظ بثروتي تحت
الحراسة المشددة • ويتحتم عليك ان لا تدع المخالف ينال
أي ثواب او عقاب • اذ عليه ان يصوم ثلاثة ايام فـــي
الاسبوع • (يشير الى جاكينات) اما هذه الآنسة فلديّ
أوامر مشددة بأن أحتجزها في الحديقة لتشتغل كحلاّبة •
حفظك الله بتمام الصحة والعافية •

ارمادو (على حدة) : ان احمرار وجهي يفضحني • (بصـــوت خافت
لجاكينات) يا صبيّة •

جاكينات : ماذا تريد يا رجل ؟

ارمادو : أود ان أذهب لزيارتك في البيت •

جاكينات : على بركة الله •

ارمادو : انا أعرف اين تقيمين •

جاكينات : رباه ! ما أغزر معلوماتك !

ارمادو : وسأروي لك قصصا عجيبة •

جاكينات : هذا ظاهر على محياك •

ارمادو : اني احبك •

جاكينات : لقد سمعتك تقول هذا قبلا لسواي •

ارمادو : الى اللقاء •

جاكينات : أتمنى ان يصفو لي الجو من بعدك •

بالور : هيا يا جاكينات ، سيري امامي (يخرج بالور وجاكينات) •

ارمادو (لتروني) : يا مغفل ، سيفرض عليك الصيام بسبب قبائحك ، ولن ينوبك أي عفو •

تروني : لا بأس ، يا سيدي • فعندما أصوم ارجو ان يتم ذلك بعد ملء بطني •

ارمادو : سيكون عقابك صارما •

تروني : انا أسبب لك الضيق اكثر من جماعتك ، مهما كانوا من المزعجين •

ارمادو (لفالان) : خذ هذا الغبي واحجزه •

فالان (لتروني) : هيا سر امامي ايها المحتال اللعين •

تروني : لا تحبسني ، يا سيدي ، فأنا مستعد لان اصوم طوعا •

فالان : كلا ، يا سيدي ، ستصوم مرغما وستبيت في السجن على

الطوى .

ترونى : حسن . اذا عادت ايامي السعيدة التي نعمت بها زمنا ، لا بد من ان يلاحظها الناس .

فالان : وماذا يلاحظ الناس ؟

تروني : سيرون ، يا معلمي فالان ، ما سيحل بي . وماذا يفيد السجناء ان أكثروا من الكلام ؟ لذا لن افوه ببنت شفة . الحمد لله ، لدي من الصبر ما لم يتوصل اليه احد بعد . ولذلك ، سأعرف كيف أحافظ على هدوئي . (يخرج فالان وتروني) .

ارمادو (وحده) : انا أعبد حتى الارض الوعرة التي تطأها أقدامها القذرة. واذا عشقت غيرها سألوم نفسي . فهذا دليل قاطع على قلة اماتتي . وكيف يتسنى للحب ان يكون وفيا عندما يتولد من العقوق . الحب ملاك جميل ، لكنه ايضا شيطان رجيم ، اذ ليس في الكون من مستبد يجاري الحب في غطرسته . فقد ذهب شمشون ضحيته بالكيد والخداع بالرغم مما يمتلكه من قوة خارقة . وكذلك حال سليمان الملك الذي ذهب ضحية الاغراء مع ان حكمته فاقت كل حد . وسهام الحب بانطلاقها العنيف اخترقت ضخامة صدر هرقل . وهكذا لم يستطع مقاومتها أدهى العشاق ، لان اجمل فنون الغرام لا تجدي نفعا ، ما دام صاحبها لا يبالي بالسيف ، بل يهزأ بقوانين المبارزة ، ويعدّ ضربا من

التحقير ، اعتبار الحب طفلا ماجنا وإن أكسبه تغلبه على
اقوى الطغاة تاجا نفيبـــــا من الانتصارات والامجاد •
فوداعا ايتها القيم • وسيكون نصيبك الهلاك ، ايها المخادع
المحتال • اصمتي ايتها الطبول لان سيدك مغرم ولهان •
أجل انا متيم ، وأسأل رب القوافي المرتجلة ان يعينني ،
لاني حتما سأصبح ناظم اغنيات• إحلم يا خيالي، وسطّري
يا ريشتي، ما دام عليّ ان أملأ أعدادا كبيرة من الصفحات•
(يخرجون) •

الفصل الثاني

المشهد الاول

عند أطراف الحديقة الملكية ـ علم مرتفع ، وحوله خيام متباعدة

(تدخل اميرة فرنسا وروزالي وماريا وكاترين وبوايه وحاشية من الوجهاء الظرفاء)

بوايه (للاميرة) : الان ، يا سيدتي ، إشحذي كل حذاقتك وتفكيرك . ولا تنسي ان والدك الملك ارسلك في مهمة خطيرة ، وقدّري جيدا الى من ، ولأية غاية انت آتية كسفيرة . انت صاحبة المقام الرفيع في كل أرجاء الكون ، مزمعة على مفاوضة الوريث الوحيد لجميع الصفات الممتازة التي يتسنى لرجل ان يتحلى بها ، ألا وهو ملك نافار المبجّل وان موضوع

المحادثات هو استرداد مقاطعة الاكيتان التي توازي بائنة ملكة • فجودي عليه اذاً بكل المفاتن التي منحتك اياها الطبيعة وحرمتها سائر نساء الدنيا •

الاميرة : حسن ، يا مولاي بوايه • ان جمالي ، وان لم يكن ضئيلا ، لا يحتاج الى تزيينه بمديحك • فسلطان الجمال كامن في سحر العيون لا في مطالبة بذيئة بصوت متوسل • وكبريائي يتواضع عندما أسمعك تشيد ببهاء طلعتي ، باذلا قصارى الجهد في ابراز محاسني بسخاء ثنائك • كنت فيما مضى ببراعتك تعلمني مهنتي فبتّ انت الان بحاجة الى من يعلمك مهنتك • ايها الكريم بوايه ، انت لا تجهل، وقد اعلنت ذلك في كل مكان ، ان ملك نافار أقسم على قضاء ثلاثة أعوام في دروس شاقة بدون ان يدع امرأة تقترب من بلاطه المنعزل • يظهر ان علينا قبل اجتياز الابواب الموصدة ، ان نعرف نيات أصحابها • ولهذه الغاية ، اعتبرك أفصح المفاوضين وأبلغهم • وأرجوك ان تقول له ان ابنة ملك فرنسا ، لاجل غاية سامية ، تلتمس باستعجال موعدا شخصيا لمقابلة جلالته ، وبلّغه رغبتي الملحة هذه بسرعة ورقّة ، بينما انا أنتظر الجواب هنا •

بوايه : سأبادر الى تنفيذ امرك فورا ، وأنا فخور بهذه المهمة السنية •

الاميرة : التهاون غالبا ما يكون دليل الغرور ، وأنا أريدك ان تحيد

عن هذه القاعدة (يهم بوابه بالخروج ويلتفت الى رجال حاشيته) ايها السادة الأحباء ، من هم المستجدّون الذين شاركوا ملكنا الفاضل في قسمه ؟

النبيل الاول: أولهم لنكفيل .

الاميرة : هل تعرفون هذا الرجل ؟

ماريا : انا اعرفه ، يا سيدتي . وقد التقيت به في حفلة زواج حاكم مقاطعة الباريكور ، وهو احد ورثة جاك فولكنبريدج الجميلة ، وسيدة مقاطعة نورمندي . ولنكفيل هذا رجل ثقة ، واسع الثقافة ملمّ بالفنون ، وله أمجاد في استخدام السلاح ، وقد نجح في الفوز بكل ما طمح اليه . اما الشائبة الوحيدة التي تعتري فضائله ، اذا كان لا بد لكل فضيلة من شائبة ، فهي امتزاج ميوله الضيقة بارادته الحديدية البطاشة : الاولى تتسلط بدون ان تحسم ، والثانية تتعنت بدون ان ترحم .

الاميرة : يخيل اليّ انه ايضا ساخر لاذع ، أليس كذلك ؟

ماريا : هذا ما يؤكده بنوع خاص من خبروا طباعه .

الاميرة : انه ظريف عابر التألق ، لا يكاد يلمع نجمه حتى يخبو بريقه . فمن هم الآخرون ؟

كاترين : الشاب دماين ، وهو فتى كامل الاوصاف ، يحبه على فضائله كل من يقدرون الفضيلة ، لا يعجز عن عمل الشر، ولكن ضميره لا يطاوعه عليه . هو متحدث لبق يحوّل

البشاعة ببراعته الى جمال ، وله من الحسن ما يعجب بدون ان يبهر الانظار • ولقد صادفته فيما مضى عنـــد دوق آلنسون ، فلمست ان ما يوصف به من الخير ، يفـــوق بمراحل ما يتحلى به من المزايا الحميدة التي عرفتها فيه •

روزالي : كان بصحبته هناك ، ان لم اكن مخطئة ، احد المعجبين به ، ويدعى بيرون • فلم أسعد بساعة من التحدث الى رجل أوفر منه مزاحا ضمن حدود الدعابة اللائقة • بينما هيبته تمنح مخاطبه ارتياحا لا حدود له ، وكل حوار معه يغنمه المرء ليستمد منه الفكاهة اللذيذة ، ولسانه المــرن يعبر بطلاقة عن افكاره السديدة ، وألفاظه الرصينة المنمّقـــة تسترعي انتباه الشيوخ بما تبرزه من رزانة في رواياته ، كما يجتذب بسحر بيانه سامعيه من الشبان ، تأسرهم طلاوة احاديثه الشيقة •

الاميرة : بركة الله تحل عليك ، يا سيدتي • هل انت معجبة بهـذا الرجل الشريف الى حد انك تخلعين عليه هـــذا الوشاح الوقور من المديح والثناء •

ماريا : ها هوذا بوايه قادم •

(يدخل بوايه)

الاميرة : كيف استقبلك ، يا سيدي ؟

بوايه : لقد تلقى ملك نافار إشعارا بمجيئك الميمون ، فكان ورفاق خلوته على أتم الأهبة للترحيب بك ، يا سيدتي النبيلة ،

عندما وصلت انا • لكني علمت ، مع الاسف ، انه يفضل
ان تخيمي في السهل نظير عدو جاء الى هنا لمحاصرة بلاطه،
على ان ينقض قسَمه ويستقبلك فـــي قصره الخاص •
ها هوذا ملك نافار •

(يدخل الملك مع لنكفيل ودماين وبيرون والحاشية)

الملك : أرحب بك في بلادي نافار ، اينها الاميرة المحبوبة •

الاميرة : المحبوبة ! هذه صفة ارجوك ان تحتفظ بها لنفسك • أمـا
الترحيب فلم ألمسه بعد • (تشير الى العلاء) ان سماء هذا
القصر أرفع من ان تكون ملكا لك ؛ والضيافة وســـط
الحقول أوضع من ان تليق بي •

الملك : اهلا بك اذاً في بلاطي ، يا سيدتي •

الاميرة : أوافق ، شرط ان اكون ضيفة في قصرك الذي ارجوك ان
ترافقني اليه •

الملك : اسمعي ، يا سيدتي العزيزة • اني اقسمت على التقيد بنذر
فرضته على ذاتي •

الاميرة : كان الله في عونك ؛ ها انت تخلّ بقسَمك •

الملك : ليس في الكون من داع يحملني على الحنث بيميني راضيا•

الاميرة : هل ارادتك وحدها هي التي تنقض هذا اليمين ؟

الملك : انت تجهلين موضوع قسَمي ، يا صاحبة السمو •

الاميرة : لو كنت يا مولاي ، جاهلا مصيرك ، لجاء جهلك حكمة •
اما الان ، وبناء على تصريحك ، فلن يكون تصرفك الا

تثبيتا لجهلك • انا اعرف انك ، يا صاحب الجلالة ، أقسمت على العيش في عزلة تامة • ومحافظتك على هذا القسم ستعدّ نقيصة لا تغتفر ، ونقضه ذنبا وخيم العاقبة • ولكن، سامحني على جسارتي التي تعدت كل حد ، اذ لا يليق بي ان اعطي درسا لاستاذ • فتنازل واقرأ وثيقة انتدابي كسفيرة اليك ، وتفضل باستجابة طلبي (تسلمه ورقة) •

الملك : اذا أمكنني ، يا سيدتي ، لبيّته حالا بدون إمهال •

الاميرة : ارجو التنفيذ عاجلا كي أنسحب بأقرب وقت • وإلا تعرضت ، يا مولاي ، للحنث بيمينك ، ان انا بقيت هنا • (يفتح الملك الورقة ويقرأها) •

بيرون (لروزالي) : أولم أرقص معك مرة في برابان ؟

روزالي : انا اسألك ، أولم أرقص معك مرة في برابان ؟

بيرون : أجل ، انا على يقين من ذلك •

روزالي : اني أستغني عن هذا السؤال •

بيرون : انت تقاطعني بخشونة •

روزالي : الذنب ذنبك ، لانك أثرت حفيظتي بمثل هذا الاستفهام الاستنكاري •

بيرون : ان تفكيرك صاخب وسريع ، ولن يلبث ان يتعب •

روزالي : ليس قبل ان يلقي خصمه في الوحل •

بيرون : كم تبلغ الساعة الان ؟

روزالي : الساعة التي ينتظرها الاغبياء •

بيرون : ما اهنأ قناع وجهك بحظه السعيد !

روزالي : الحظ السعيد للوجه الذي يخفيه هذا القناع .

بيرون : ارجو ان تتحفك الايام بعدد كبير من العشاق .

روزالي : آمين ، ثم آمين ، شرط ان لا تكون انت واحدا منهم .

بيرون : لا خطر عليّ ، لاني أنسحب حالا .

الملك (للاميرة) : يا سيدتي ، ان والدك يتكلم هنا عن دفع مئة الف دينار، لا تشكل سوى نصف المبلغ الذي دفعه له ابي خلال حروبه . لنفترض ، وهذا غير صحيح ، ان والدي الملك المتوفي ، رحمه الله ، او انا ، قد استلمنا هذا المبلغ ، فلا يزال متوجبا عليكم دفع الدنانير المئة الف الباقية . ولضمان استيفائي هذا الدَين ، احتفظ بجزء من الاكيتان مهما كانت هذه الرهينة أقل من القيمة التي ترمز اليها . فاذا كان والدك الملك يود ان يسدد لي فقط نصف المبلغ المتبقي ، فاني أتنازل عن حقي في الاكيتان وألتزم بمعاهدة الصداقة المعقودة بيني وبين جلالة الملك والدك . ولكن يبدو لي انه ينوي عكس هذا ، لانه يطالبني بدفع الدنانير المئة الف سهواً، بدل ان يقوم هو بدفع هذا المبلغ المتوجب عليه لاسترداد حقه في الاكيتان . اما انا فكنت أود ان افرج عن هذه المقاطعة لقاء المبلغ المذكور الذي اقرضه والدي لأبيك ، عوضا عن الاحتفاظ بالاكيتان المحجوزة . ايتها الاميرة العزيزة ، لو لم يكن طلب والدك بعيدا عن كل

مساومة مقبولة ، لاستطاع جمالك ان يحظى بتنازلات مهما
كانت غير معقولة ، لن يضن عليك بها قلبـــي المحب ،
ولرجعت الى فرنسا راضية كل الرضى ٠

الاميرة : انت تبالغ في التنديد بوالدي الملك ، وتشوه سمعتك بيدك
في نفس الوقت ، اذا اصررت هكذا على رفضك الاعتراف
بما دفعه لكم والدي بأمانة ٠

الملك : انا أحتج ، لاني لم أسمع ابدا بأن دفع هذا المبلغ قد تم ٠
فاذا امكنك اثباته فاني مستعد لرد المبلغ ولارجـــاع
الاكيتان معا ٠

الاميرة : انا أقبل بقرارك هذا حرفيا ٠ فتفضل ، يا بوايه ، بابـراز
الايصالات التي اعطاها في حينهـــا لقاء هذا المبلغ ،
المسؤولون الذين كلفهم بذلك والده الملك كارلوس ٠

الملك : أعطني هذه المستندات ، من فضلك ٠

بوايه : لم استلم بعد الحقيبة التي تحوي هذه الايصالات وسواها
من الوثائق الثبوتية ، يا صاحب الجلالة ٠ غدا ستكـون
حتما بين يديك ٠

الملك : اني أكتفي الان بهذا الاجتماع ، وأنا مستعد لان أتقبل كل
اجراء معقول ٠ في هذه الاثناء تفضلي بقبول الضيافة التي
يمكنني ان أقدمها لمقامك ، ضمن حدود اللياقة ، بدون ان
أنتقص من رفيع شرفك ٠ يؤسفني ان لا يتسنى لك عبور
باب قصري ، ايتها الاميرة الجميلة ٠ لكن الاستقبال الذي

أخصك به هنا خارج القصر ، يبين لك مقدار المودة التي
يكنها لك قلبي تعويضا عن حرمانك من نزولك ضيفة تحت
سقف بيتي • فاشمليني بحلمك الواسع ، واعذريني •
الوداع • غدا اقوم بزيارتك مجددا •

الاميرة : اطلب من الله ان يمنحك الصحة التامة ، ويحقق لك جميع
امانيك ، يا صاحب الجلالة •

الملك : اني أبادلك نفس هذه التمنيات (يخرج الملك مع حاشيته) •

بيرون (لروزالي) : انا أوصيك بقلبي خيرا ، يا سيدتي •

روزالي : ارجوك ان تشدد التوصية • اذ يسرني كل ما يفيض به
فؤادك العطوف •

بيرون : اود ان تستمعي الى انينه •

روزالي : وهل يشعر المهووس بأي ألم ؟

بيرون : نعم ألم الاشتياق •

روزالي : مع الاسف . هو معرّض الى كثير من النزف •

بيرون : وهل هذا ينفعه ؟

روزالي : في شرع طبي انا . أعتقد انه مفيد •

بيرون : أوتستطيعين ان تخترقيه بسهام لحظك ؟

روزالي : بل بسكيني •

بيرون : مع ذلك ، أدعو لك بطول العمر •

روزالي : يطول عمرك ايضا •

بيرون (ينسحب) : لا وقت عندي لتكرار الدعاء •

دماين (يشير لبوايه نحو روزالي) : مولاي ، اسمح لي بكلمة . ارجوك ان تقول لي من هي هذه السيدة ؟

بوايه : هي وريثة آلنسون ، واسمها روزالي .

دماين : انها سيدة انيقة . الى اللقاء ، يا سيدي (يخرج) .

لنكفيل (يشير لبوايه نحو ماريا) : كلمة ، من فضلك . أستحلفك بكل عزيز ان تقول لي من هي صاحبة الثوب الابيض هذه ؟

بوايه : اذا تفرست فيها جيدا ، رأيت انها امرأة جميلة .

لنكفيل : قد ارى فيها ايضا بعض الخفة . انا اسأل عن اسمها .

بوايه : اسمها أشهر من نار على علم ، والسؤال عنه يعد تقصيرا .

لنكفيل : ارجوك ان تعلمني ابنة من هي ؟

بوايه : ابنة أمها على ما أعتقد .

لنكفيل : جزاك الله عني خيرا .

بوايه : حسن ، يا مولاي ، لا تحنق . هي وريثة فالكنبريدج .

لنكفيل : لقد اطمأن بالي الان . هي امرأة فاتنة .

بوايه : هذا ظاهر ، يا سيدي ، وليس من ينفيه . (يخرج لنكفيل) .

بيرون (يدل بوايه على كاترين) : وما اسم هذه السيدة التي ترتدي القبعة ؟

بوايه : اسمها كاترين ، على ما أظن .

بيرون : وهل هي متزوجة ؟

بوايه : أظنها هكذا ، او على وشك الزواج .

بيرون : اهلا بك ، يا سيدي . ثم الوداع .

بوايه : الوداع لي انا ، يا سيدي ، وبك انت الترحيب (يخرج بيرون) .

ماريا : هذا الاخير هو بيرون ، الوجيه الفضولي المرح الذي لا اجد على لسانه الا الدعابة .

بوايه : وأغلب دعاباته مشبوهة .

الاميرة : احسنت صنعا بأن لا تترك له قول الكلمة الاخيرة .

بوايه : انا على أتم الاستعداد لاستدراجه ، كما انه متأهب للتحدث اليّ .

ماريا : وكلاكما ككبشين مجفلين يتناطحان .

بوايه : بل كمركبين متعاديين يتصادمان . كم أود ان اكون كبش الفداء ، وكالحمل الوديع ارعى من شفتيك !

ماريا : آأنت الكبش ، وأنا المرعى ؟ هلا وضعت حدا لهذه الدعابة السمجة ؟

بوايه (يحاول ان يعانقها) : اذا شئتِ ان تمنحيني المرعى .

ماريا (تدفعه) : ليس هكذا ، ايها الحيوان الماكر . ولن تكون شفتاي مرعى سهلا لك مهما تقربت مني .

بوايه : لمن تخصان ؟

ماريا : لمن هو نصيبي .

الاميرة : اصحاب الطموح يتزاحمون باستمرار . انما عليكم ان تظلوا متفقين ، يا خلاّن . والاجدر بكم ان تحوّلوا هذه

المزاحمة الغزلية فيما بينكم الى مخاصمة ملك نافار ومَن حوله من طلاب العلم • لان نزاعكم لا مبرر له هنا •

بوايه : اذا كانت مقدرتي ، الفائقة عادة ، في حل رموز لغة القلوب التي تنطق بها العيون الصامتة ، لم تنجح هذه المرة فانها قد أثرت على ملك نافار •

الاميرة : بماذا ؟

بوايه : بما نحن ، ذوّاقة الجمال ، ، ندعوه تباريح الهوى •

الاميرة : وما برهانك ؟

بوايه : ان كل نباهته قد انحصرت في عيونه المنفتحة على نضارة شبابك • وقلبه الشبيه بالياقوت قد نقشت عليه صورتك بكل اعتزاز ، كما تعبر عنه مقلتاه • ولسانه التوّاق الى الكلام الذي يسابق نظره ، كان ينطق بالثناء في سياق الحديث ، مؤيدا لغة العيون • وجميع مشاعره تتركز في حواسه المرهفة ، المتأملة باعجاب في محيا احلى الحسناوات • نعم يخيل اليّ ان افكاره كانت ترافق أنظاره ، كأنه امام قفص من البلور ، وهذه الجواهر الملكية النادرة التي تبرز قيمتها من خلال الواجهة الشفافة ، تغريه على اقتنائها عندما يمر بها مشدوها • ان مثل هذه القرائن تقرأها في حدقتيه ، جميع الابصار المنجذبة اليها بافتتان • أما انا فسأعطيك الاكيتان وما تحويه ، اذا جدتِ عليه بالقبلة الحارة التي ارجوها منك •

الاميرة : هيا بنا الى خيمتي ، يا بوايه ، ما دام الملك على أتـــم الاستعداد ...

بوايه : ليبوح بالكلام ، بما تشهد به عيناه ، وما يخترق قلبه مـــن سهام الحب . هذا اذا اكتفيت بتفسير نظراته الهائمة ، وشرح ما تنطق به من تعابير صادقة ليس فيها على مـــا أعتقد أي أثر للنفاق .

روزالي : انت خبير عليم بأسرار القلوب وتتحدث عنها ببلاغة .

ماريا : هو خادم امين في هيكل الحب ، وقد استقى منه هـــذه الاخبار السارة .

روزالي : في هذه الحالة ، أعتقد ان والدته لا بد لها من ان تشبه إلهة الجمال فينوس ، وان يكن والده قبيح المنظر .

بوايه : هل تسمعن يا آنساتي الحبيبات ؟

ماريا : كلا .

بوايه : اذاً ، ماذا ترين ؟

روزالي : طريقنا للعودة .

بوايه : انكن أدهى مما كنت أتوقعه . (يخرج الجميع) .

الفصل الثالث

المشهد الاول

في الحديقة الملكية

(يدخل ارمادو وفالان)

ارمادو : أنشد ، يا بنيّ ، وشنّف أذنيّ .

فالان (يغني) : طلعت يا ما احلى ... الخ .

ارمادو : لحن جميل ، ايها الفتى العاطفي . خذ هذا المفتاح ، وناد الراعي كي يأتي حالا الى هنا . لاني أود ان أكلفه بنقل رسالة الى حبيبتي .

فالان : هل تريد ان تغري فتاتك ، يا سيدي ؟ تعلّم اذاً ما يلزم من التعابير المؤثرة .

ارمادو : ماذا تقصد بالتعابير المؤثرة ؟
فالان : اليك الشرح ، يا سيدي الكريم . عليك ان تدمدم نغما من خلال شفتيك ، وتضرب الايقاع بقدمك وتشفعه برفع عينيك الى العلاء . ثم تدمدم لحنك وتترنم تارة من حنجرتك ، كما لو كنت تبتهل الى رب السماء ، وطورا من انفك كما لو كنت تتنشق عبير الهوى وتتنسم أريجه . وترفع قبعتك كأنها عصبة فوق حاجبيك ، وذراعاك مشبوكتان على صدرك مثل ارنب مشكوك بسيخ ليشوى على النار ، او يداك مدسوستان في جيبك كأنك شخصية أسطورية تزيد قيمة لوحة زيتية قديمة . ثم تسعى الى عدم البقاء مدة طويلة على وتيرة واحدة . فهذا ليس سوى اجراء بسيط لكنه كاف . وهو المعين السحري الذي يتيح للرجل تضليل فتاة متبرّجة متأنقة هائمة في بحر الغرام ، وبتغاضيه عن ضآلة ثقافتها ، التوصل الى احتلال مكانة مرموقة في قلبها .
ارمادو : كم كلفتك هذه الخبرة ؟
فالان : ملاحظة زهيدة .
ارمادو : ولكن ...
فالان (يدمدم اغنية) : لو كنت حصانا ...
ارمادو : وهل تظن ان حبيبتي حصان ؟
فالان : كلا ، يا سيدي . ان الجواد فحل ، وحبيبتك ليست من هذا

النوع . هل نسيتها ؟

ارمادو : تقريبا .

فالان : تباً لك من طالب بليد ! اذكرها ولو عن بعد .

ارمادو : عن بعد ، وبكل اشتياق ، يا غلام .

فالان : رغما عنك ، يا سيدي . وأنا مزمع ان أثبت لك أمورا ثلاثة.

ارمادو : ماذا تثبت ؟

فالان : اني رجل عظيم ، استخلص فورا استنتاجا من ثلاث نقاط : انت تهوى فتاتك عن بعد ، لان قلبك لا يعرف طريق الوصول اليها . وتحبها باشتياق لان فؤادك مشغوف بهواها . وأخيرا تحبها رغما عنك لان عدم حصولك عليها يحطم قلبك .

ارمادو : وأنا موزع بين هذه الحالات الثلاث .

فالان (على حدة) : وستجد نفسك في حالات اخرى وأنت تقبض على الريح .

ارمادو : اذهب واستدع لي الراعي ، لأكلفه بإيصال رسالة من قبلي.

فالان : هذه مهمة موفقة كمهمة حصان مرسل سفيرا من قبل حمار .

ارمادو : ماذا تقول ؟

فالان : اقول ، يا سيدي ، ان الأولى بك ان تضع على ظهر الحصان السريع هذا الحمار الذي يبدو بطيئا للغاية . انا ذاهب.

ارمادو : الطريق ليس طويلا . فانهب الارض نهبا .

فالان : سأمضي بعجلة أسرع من الرصاص ، يا سيدي .

ارمادو : ماذا تعني ، ايها الصغير الحاذق ؟ أوَليس الرصاص مـــن المعادن الثقيلة البطيئة ؟

فالان : هو ثقيل جدا ، يا سيدي النبيل ، انما احيانا هو بالعكس في غاية السرعة •

ارمادو : الرصاص بطيء دائما يا غبي •

فالان : انت تتكلم بعجلة فائقة ، يا سيدي ، وكلامك أثقل مـــن الرصاص المنطلق من فوهة البندقية •

ارمادو : اما دخانه الكثيف فيلف المبادىء ، ويجعل مني مسدســـا أصوّب احدى طلقاته الى المتحدي •

فالان : إضغط اذاً على الزناد حتى أهرب (يخرج) •

ارمادو : هذا الفتى زلق اللسان • فما اكثر كلامـــه ، وما أبلغه ! المعذرة • أستغفرك اللهم ، لاني تماديت في الحديث • ما اقسى الكآبة التي تحل محل الشجاعة ! ها هوذا رسولي قد عاد •

(يعود فالان وبصحبته تروني)

فالان : لقد حدثت أعجوبة ، يا سيدي • ها هوذا تروني الغريب قد خدش ساقه •

ارمادو : ما هذه الأحجية ؟ ما هذا الطلسم ؟ هـــذه هي مهمتك ، فابدأ بها •

تروني (يحك فخذه) : لا أحجية ، ولا طلسم ، ولا رقية ، يا سيدي • هل يوجد افضل من المرهم لتضميد الساق ؟

رمادو : بالفضيلة تجعل الضحك لا يقاوم ، يا مغفل • اما الغباوة فانها
تفشّل تدابيري • وإذ ألجأ الى الحيلة تتولد على شفتيّ
ابتسامة جهنمية • أستغفرك ، يا إلهي • هذا الابله يعتمد
على الرقية بدل المرهم الشافي ، ويظن انها تنفع في
التضميد •

ءالان : الأبله يتكلم كالانسان الحكيم احيانا • فهل في الرقية ما يدل
على التفكير ؟

رمادو : كلا ، يا غلام • ان الرقية هي عبارة عن مقدمة او خطاب
يرمي الى شرح الغامض من الاقوال • واليك احد
الامثلة :
الثعلب والقرد والدبور
شكّلت عددا مفردا هو ثلاثة •
هذه هي الفاتحة • والآن ، اليك بالرقية •

ءالان : سأضيف الرقية • فكرر الفاتحة •

رمادو : الثعلب والقرد والدبور
شكّلت عددا مفردا هو ثلاثة •

ءالان : وعندما خرجت الأوزة من البيت
زاد العدد المفرد فبلغ الاربعة •
والآن سأكرر المطلع ، وأنت ستتبعني بالرقية •
الثعلب والقرد والدبور
شكّلت عددا مفردا هو ثلاثة •

ارمادو : وعندما خرجت الاوزة من البيت ،
زاد العدد المفرد فبلغ الاربعة •
فالان : الرقية ممتازة ، وقوامها أوزة • فهل تتمنى أفضل منها ؟
تروني (يشير الى ارمادو) : أعطِ الغلام الأوزة • الامـــــر واضح •
(لارمادو) يا مولاي ، اذا كانت الاوزة سمينة ، فهـــذا
أصلح لك ، لان الاوزة السمينة رقية مضمونة الفعالية •
ارمادو : اخبرني ، كيف بدأت هذه المحاورة ؟
فالان : كنت أتكلم عن تروني الغريب الذي خدش ساقه ، واذا بك
تطلب الرقية •
تروني : هذا صحيح ، وأنا طلبت الذرة • عندئذ جاءت حجتـــك
اقوى وتلتها الرقية المضمونة الفعالية التي اتى بها الغلام ،
ثم الأوزة التي اعطاك اياها • وتمت الصفقة هكذا •
ارمادو : لكن ، قل لي كيف اتفق لتروني ان يخدش ساقه ؟
فالان : سأشرح لك الحادث بصورة واضحة •
تروني : انت لا تدرك القضية مثلي ، يا فالان • ان هذه الرقيـــة
تخصني • فأنا تروني ، عندما هربت من المكان الـــذي
مكثت فيه بأمان ، تجاوزت العقبة وخدشت ساقي •
ارمادو : لَندع هذه المسألة جانبا •
تروني : أجل ، ولننتظر حتى يسري العلاج في ساقي •
ارمادو : يا صديقي تروني ، سأخلصك من مأذقك •
تروني : أجل ، ان ما أتمناه من صميم فؤادي هو ان تزوجني فتاة

مناسبة • وهنا ايضا يخيل اليّ اني كالاوزة •

ارمادو : والله ، انا أنوي ان أحل مشكلتك وأنقذك من أسرك •

تروني : لا أشك في ذلك • فساعدني على الخلاص باطلاق سراحي •

ارمادو : سأرد اليك حريتك ، وأفتح لك باب سجنك ، انما بشرط ان تنقل هذه الورقة الى الفلاحة جاكينات • وهاك أجرك• (يعطيه رسالة وبضع قطع نقديةصغيرة) لان خير برهان على استقامتي هذه اعطاء خدمي ما يستحقونه من أجر • اتبعني يا فالان • (يخرج) •

فالان : نعم ، يا سيدي • وهذا يكون مسك الختام • الوداع ، يا سنيور تروني •

تروني (لفالان) : يا قطعة من كبدي ، يا جوهرتي الغالية • (يخرج فالان• تروني وحده يواصل كلامه) والآن ، لأرَ ما اعطاني كأجر• (يفحص القطع القليلة التي اعطاه اياها ارمادو) الأجر ! لا أعتقد ان يكون عطاؤه اكثر من ثلاثة دراهم • الاجر ! لقد قال في سره ماذا يساوي هذا التافه ؟ فلسا ؟ كلا • سأعطيه اكثر ، وينقضي الامر • الاجر كلمة رنينها أرخم من الذهب • في المستقبل ، لن اعقد اية صفقة بدون هذه الوسيلة السحرية •

(يدخل بيرون)

بيرون : يا لك من منافق ، يا عزيزي تروني ! ما هذه الصدفة

السعيدة ؟

ترونى : العفو ، يا سيدي . كم ذراعا من شريط بلون اللحم يسع المرء ان يشتري بأجره ؟

بيرون : ماذا تعني بالأجر ؟

تروني : بالنسبة الي ، يا سيدي ، درهم ينقصه فلس .

بيرون : باستطاعتك اذاً ان تشتري حريرا بثلاثة فلوس .

تروني : اشكر سيادتك على هذا الكرم الحاتمي ، وأسأل الله ان يجزيك عني خيرا .

بيرون : أصمت ، يا خبيث . سأكلفك بمهمة . واذا كنت تريد كسب مودتي ، ايها المحتال البارع ، قم بما اطلبه منك بدون إمهال .

تروني : متى تريد ان يتم الامر ، يا سيدي ؟

بيرون : بعد ظهر هذا النهار .

تروني : سمعا وطاعة ، يا سيدي . سأفعل ما تشاء ، فالى اللقاء . (يهم بالانسحاب) .

بيرون : ولكنك لم تعرف بعد ماذا أرغب .

تروني : سأعرفه ، يا سيدي ، بعد ان اقوم به .

بيرون : يا غبي ، لا بد لك من الاطلاع عليه قبل ان تباشر فيه .

تروني : سأسألك عنه منذ صباح الغد.

بيرون : لا بد للمسألة من ان تتم بعد ظهر هذا النهار بالذات . فاسمع يا مغفل . انها كما يلي : ستأتي

الاميرة لتصطاد هنا في الحديقة • من جملة حاشيتهـــا سيدة لطيفة جميلة ، سيُذكر اسمها وستسمع صوتهـــا الرخيم ، وهي المدعوة روزالي • فاطلبها واجتهد ان تضع في يدها الناعمة هذا المغلف السري • (يعطيه رسالة) واليك بما يرضيك ، فاذهب حالا (يعطيه نقودا) •

تروني : ما يرضيني ! وما احلى ما يرضيني ! المبلغ قدره احد عشر درهما وفلس واحد • ما احلى ما يرضيني ، وما هو خير آجر لي ! (يخرج) •

بيرون (وحده) : هل هذا ممكن ؟ أأنا مغرم ؟ أأنا صريع الهوى ؟ انا جلاّد التنهدات والاشواق • انا الناقد القاسي ، انـــا حارس الليل ، انا العالم الكبير الذي يفاخر الجميع بنبوغه، انا الفتى المعصوب العينين ، البكّاء الاعمى ، انا الصبي النزق، انا الشاب العجوز ، انا القزم المارد ، انا إله الحب الوصي على قوافي الهيام ، انا صاحب الذراعين المتشابكين على الصدر ، سلطان الاسى والحنين ، انا رب المتشردين الناقمين ، انا امير الاثواب الرهيب ، انا ملك السراويل وأمبراطور الصداري ، انا القائد المغوار الذي يرتعـــد لذكره أشجع الفرسان • آه يا قلبي الصغير المسكين ! هل يهون عليك ان ارى نفسي اخيرا تحت رحمتك ، احمل لواءك كعلم خفاق ، وأرفعه كراية الشوق بأعلى يدي ؟ ماذا جرى لي ؟ أأنا اعشق وأغازل ؟ أأنا اسعى الـــى

الاقتران بامرأة هي اشبه بساعة كبيرة تحتاج دوما الى الاصلاح لانها تتعطل باستمرار ، وتتدهور حالتها من سيىء الى اسوأ مهما أحيطت به من عناية ورعاية ؟ ماذا اقول ؟ أأنا أورط نفسي ، في أردأ الحالات ، بين ثلاث نساء ، وأهوى أحطّهن خلقا ، اعني المتبرّجة ذات الحاجبين المزجّجين كسيفين مسلولين يعلوان حدقتي عينيها السوداوين الزائغتين دوما في محجريهما ؟ اي وربي، هي فتاة جريئة ، لا تتردد في استخدام براثنها عند الحاجة، وأنا مستعد لان اموت فداها ، انا الذي حُرمت النوم بسببها ، وأتوسل بدون انقطاع لامتلاكها . في الحقيقة، هذا عقاب أنزله بي إله الحب ، لانـي باستخفاف تجاهلت سلطانه الجبار وقبضته الناعمة المدمرة . على كل حال سأظل احب وأكتب وأتنهد وأصلي وألتمس وأئنّ ، اذ يتحتم على كل رجل ان يهوى إما سيدة محترمة ، واما غادة مستهترة .

الفصل الرابع

المشهد الاول

في جانب آخر من الحديقة

(تدخل الاميرة وروزالي وماريا وكاترين ثم يدخل بوايه والوجهاء ورجال الحاشية وحارس الصيد)

الاميرة : أهو الملك الذي يهمز حصانه بحدّة لمحاصرة هذه الأكمة المتعرّجة الدروب ؟

بوايه : لست أدري . ولكن يخيل اليّ انه ليس هو .

الاميرة : كائنا من كان ؛ فهو خيّال لا يُشق له غبار . هيا ، يا سادة ، في هذا النهار ننهي اعمالنا ، ويوم السبت نعود الى فرنسا . يا صديقي ، حارس الصيد ، اين الحرج الـذي

علينا ان نكمن فيه للقيام بدورنا كقتلة ؟

حارس الصيد: هو على مقربة من هنا ، عند سفح المنحدر . وحين تقفين هناك ، يا اميرتي ، انا على يقين بأنك تبدين كأجمل صيادة في الكون .

الاميرة : أجل ، هذا بفضل مفاتني انا الجميلة ، وبما اني اجيد الصيد ، انا واثقة بأني ، كما تقول ، ابدو كأروع صيادة .

حارس الصيد: العفو ، يا سيدتي ، انا لم اقصد ذلك .

الاميرة : كيف ، كيف ؟ لقد بدأت تمدحني ثم تراجعت . يا لحماقة الغرور ! من المؤسف جدا ان لا اكون اذاً جميلة .

حارس الصيد: انت من احلى الحسان ، ولا مجال للشك في ذلك ، يا سيدتي .

الاميرة : لا تهتم بمظهري . فالمديح لا يُصلح وجها جفاه الحسن والبهاء . ما أصدق مرآتي ! هيا خذ هذا لانك صارحتني بالحقيقة (تعطيه نقودا) ان عطاء المال الحلو لقاء كلمات مرة يعني تسديد ما هو اكثر من المبلغ المستحق .

حارس الصيد: كل ما تسنحينه هو سخاء يجود به جمالك .

الاميرة : كفى . لا شيء يحفظ رونق الحسن نظير صالح الاعمال . ما اردأ الذوق الذي يشبه شؤم هذه الايام . اما اليد التي تعطي ، فمهما كانت قبيحة ، تراها واثقة من فوزها بشكر من يتلقى المنحة ، شاء او ابى . هيا ناولني القوس (خادم الصيد يسلمها قوسا وسهاما) عندما يتأهب طيّب القلب

لازهاق روح ، كما هو الحال في هذه الساعة ، تبدو له الضربات الصائبة كأنها فاشلة • هكذا ، انا موقن بأنـــي سأنسحب من هذا الصيد ظافرة • فاذا لم اصب الطريدة يكون اشفاقي قد حال دون فوزي ، وان اصبتها اكون قد ابرزت مهارتي لكي احظى بالثناء المستعذب لا بلذة القتل • ولقد جرى ذلك اكثر من مرة • فالمجد لا يعفّ عن اقتراف جريمة فظيعة ، بينما اكتساب المديح والسمعة المشكورة يعتبر من أباطيل المظاهر الخارجية ، الضرورية لاستنفاد قوانـــا الداخلية كما حصل لي انا التي ، لكي احظى بتقريـــظ بسيط ، اسعى في هذه اللحظة الى سفك دم غزال مسكين لا أضمر له أي اذى •

بوايه : أوليس ايضا حبا بالاستعلاء تقصد الزوجـــة المغرورة ان تفرض سلطتها على زوجها وتتحكم بشريك حياتها ؟

الاميرة : أجل ، هذا هو الواقع المرير ، ما دمنا نكيل الثناء جزافـا لكل امرأة تفرض سيطرتها على رجلها •

(يدخل تروني)

الاميرة : ها هوذا عضو من الجمعية مقبل علينا •

تروني : حفظ الله كل أفراد الجمعية • العفو • من هي هذه السيدة المترئسة هنا ؟

الاميرة : لمعرفتها ، ايها الصديق ، عليك ان تنظر الى من لا رأس لهاء

تروني : من هي السيدة الأرفع مقاما هنا ؟

الاميرة : الأسمن والاطول بينهن .

تروني : الأسمن والاطول ؟ هل هذا هو المهم ؟ الحقيقة هي الحقيقة . فاذا كان قوامكِ ، يا سيدتي ، هكذا نحيلا مثل فكري ، فان زنار احدى هؤلاء الآنسات يلائمك حتما . أولستِ هنا المرأة الرئيسية ؟ فأنت اذاً الأعرض جاها .

الاميرة : ماذا تعني ، يا سيدي ، بهذا الاستخلاص ؟

تروني : في حوزتي رسالة من السيد بيرون الى سيدة تدعى روزالي .

الاميرة : عجّل وسلمني اياها . انه صديقي الحميم . (تأخذ الرسالة التي يمدها اليها تروني) . تعال الى هنا يا عزيزي ساعي البريد بوايه . انت ماهر في فض الرسائل ، فافتح لي هذا المغلف (تسلم بوايه الرسالة) .

بوايه : انا مستعد لكل خدمة تلزمك (يقرأ العنوان) . هناك التباس، لان هذه الرسالة غير موجهة الى احد من هنا ، هي مرسلة الى جاكينات .

الاميرة : لا بد من ان أطّلع عليها . فض هذا الخاتم ، وليصغِ كل واحد منكم .

بوايه : (يفض الرسالة ويقرأ) : لعمري ، انت آية في الجمال ، بدون أي ريب . انت حقا رائعة . انت محبوبة ، انت لطيفة ، انت كريمة ، فاشفقي على اسير هواك المتدله . في غابر الزمان ألقى الملك الشهير كَفتيا العظيم نظرة على

المتسولة المحتالة زينولوفون الفاسقة ، فما لبث أن هتف :
اتيت ، وعاينت وظفرت . وهذا معناه في اللهجة العاميّة ،
ويا لها من عاميّة غامضة ، انه جاء ورأى وانتصر . اولا
جاء ، ثانيا رأى ، ثالثا انتصر . فمن الذي اتى ؟ الملك .
لماذا اتى ؟ لينظر . ولماذا نظر ؟ لكي ينتصر . الى من اتى؟
الى المتسوّلة . ومن رأى المتسوّلة ، وعلى من انتصر ؟
على المتسوّلة . فالنتيجة هي الانتصار . من اية جهة ؟ من
جهة الملك . والأسر هو اثراء . من اية جهة ؟ من جهة
المتسوّلة . والوليمة هي الكارثة . من اية جهة ؟ من جهة
الملك . بل من الجهتين لواحد ، او بالحري من جهة
واحدة لاثنين . انا الملك : اذاً هكذا تمّت المقارنة تلقائيا.
انتِ المتسوّلة : اذاً هذا ما اثبته ضعف موقفك . هل
يمكنني ان أجابه حبك ؟ انا قادر على ذلك . هل أقتحم
قلبك ؟ انا قادر ايضا على ذلك . فهل ألتمس عطفك
متوسلا ؟ لكن إبائي يرفض ذلك . بماذا تستبدلين أسمالك
البالية ؟ بأثوابك الجديدة . ومكرك ؟ بأخلاقك الحميدة.
وشخصيتك ؟ بشخصي انا . فبناء على ذلك ، وبانتظار
ردك ، أمرّ شفتي على قدميك ، وعينيّ على رسمك ،
وقلبي على عواطفك وحنوّك . انا دوما رهن اشارتك
وأغلى أمانيّ ان أكرّس حياتي لخدمتك .

المخلص لك : دون أدريانو دي أرمادو .

هل تسمعين الاسد يزأر أمامي انا النعجة الصغيرة الضعيفة التي ستصبح ضحيته • اني أزحف باتّضاع عند قدمي مليكي ، وربما حين يُشبع أهواءه ، يتنازل الى مداعبتك• ولكن ، يا مسكينة ، اذا شئت المقاومة ، ماذا يحل بك ؟ ستكونين فريسة غضبه ومرعى خصيبا لنزواته المتقلبة العنيفة •

الاميرة : من أي معدن هو ، من دبّج هذه الرسالة ، بل اية قريحة جادت بها ؟ هل سمعت في حياتك ما هو أروع ؟

بوايه : حقا ، إما ان اكون على خطأ مبين ، واما ان أتذكر جيدا هذا الاسلوب !

الاميرة : تكون ذاكرتك خرقاء ، اذا نسيت بهذه السرعة •

بوايه : ان ارمادو هذا هو اسباني مقيم هنا في البلاط • وهو صلب الطباع متمسك بصحبحة الملك ، يسليه مع رفاقه اثناء الدرس •

الاميرة (لتروني) : اسمح لي يا صديقي العزيز بكلمة • من سلمك هذه الرسالة ؟

تروني : لقد قلت لك انه سيدي •

الاميرة : والى من كنت مزمعا ان توصلها ؟

تروني : الى سيدتي ، من قبل سيدي •

الاميرة : من أي سيد الى أية سيدة ؟

تروني : من سيدي بيرون ، وهو معلمي الكريم ، الى السيدة

الفرنسية التي دعاها روزالي •

الاميرة : لقد اعطيتها رسالة اخرى بدل الرسالة الموجهة اليها • هيا نذهب ، يا سادتي • (تسلم روزالي الرسالة) • خذي هذه، يا عزيزتي ، وقريبا تصلك الرسالة الموجهة اليك • (تخرج الاميرة مع حاشيتها) •

بوايه : من الذي يصطاد هنا ، يا حلوة ؟

روزالي : هل عليّ ان أخبرك بذلك ؟

بوايه : نعم ، يا فاتنتي الجميلة •

روزالي : اذاً ـ هي التي صوبت السهم • وهي مزودة بكل ما يلزم • أليس كذلك ؟

بوايه : ستصطاد الاميرة كل حيوان له قرون • ولكن عندمـــا تتزوجين ، سأشنق نفسي اذا فقدت القرون في تلــك السنة • وهذا القول في محله ، أليس كذلك ؟

روزالي : سأثبت لك حينئذ انني صيادة ماهرة •

بوايه : ولكن ، اين غزالك ؟

روزالي : اذا اخترته بقرون ، تكون انت • إقترب ، هذا حقا ضرب محكم •

ماريا : انت تخاصمها على الدوام ، يا بوايه ، وهي ترد لك الصاع صاعين •

بوايه : وهذه المرة اصابتك في مكان أوطى • فتلقَّى •

روزالي : بما اننا تتكلم عن الاصابات ، هل تريد ان ارميك بقطعــة

قديمة من الدهن ، عمرها منذ ان كان الملك طفلا بحجم بذرة تفاح فرنسا •

بوايه : بشرط ان يتسنى لي الرد عليك برسالة قديمة ايضا بعمر المرأة يوم كانت ملكة بريطانيا كينوفار لا تزال طفلة رضيعة •

روزالي (تنشد): بما انك لا تستطيع اصابة الهدف ،
هكذا انا لا أتمكن من وصل حبيبي •

بوايه (ينشد) : ان انا لم أستفد من الصدف
فلا احد غيري يداوي علتي •

(تخرج روزالي وكاترين)

تروني : أقسم بأن هذا المشهد مسلٍ ، وانه الاقرب الى الصواب •

ماريا : الرماية حقا محكمة التسديد وتستحق الاعجاب • فكلاكما أصبتما الهدف في الصميم •

بوايه : يا له من هدف مرموق • عجّلي ، يا سيدتي ، وائتني بمسمار قوي لتثبيت هذا الهدف الممتاز •

ماريا : ألا انتبه الى المسمار ، انك تدقه في غير محله • في الحقيقة، آلتك خرجت عن المكان المعيّن •

تروني : عليه اذاً أن يستهدف نقطة اقرب ، وإلا اخطأ كليا •

بوايه : اذا كانت آلتي في الخارج ، فبالمقابل آلتك هي حتما في الداخل •

تروني : ستصيب الهدف حالما يفلت الاسفين الذي يشد الوتر •

ماريا : اخجلوا ، يا جماعة ، فكلامكم أضحى مغموسا في الذهن ، وبات يلوث شفاهكم •

تروني : هي أقدر منك بكثير في الرماية ، يا سيدي • فتحداها انت بالكريات •

بوايه : اخشى حينئذ ان تعطبني • (لماريا) ليلتك سعيدة ، أيتها الحلوة الكريمة • (يخرج وتتبعه ماريا) •

تروني (وحده): والله لم أشاهد انسانا غليظا مثله • ما أغباه ! يا إلهي ، تقاذفناه كالكرة انا وهؤلاء السيدات • يا لها من مداعبات ظريفة • ألا تحدثني عن الفكاهة الا عندما تكون غريبة وبذيئة ، تسيل من ينبوع هكذا وضيع ومزدوج المعاني ؟ ان ارمادو رجل أنيق بكل معنى الكلمة ، ولا بد من مشاهدته حينما يتمايل امام المرأة بل عندما يحمل المروحه، ويرسل القبلات بيده على جناح الاثير ، ويغدق الف وعد ووعد في سباق مطارحة الغرام • ثم هنالك غلامه الذي اصبح يؤلف معه ثنائيا فكاهيا نادرا • ربّاه ! انه حقا لحيوان حقير سريع الانفعال ، لم اجد له شبيها طوال حياتي • يا الهي ، يا الهي • (تسمع ضجة صيد بعيدة • يخرج تروني راكضا) •

المشهد الثاني

يدخل هلفارن والسير تتنايل وبالور

تتنايل : هذا حقا صيد محترم للغاية بشهادة كل صاحب ضمير حي.

هلفارن : لقد كان الغزال ، كما تعلم ، لا يزال يتخبط بدمه ، شهيا كالخوخة الدانية القطوف المتدلية من الغصن ، بل كجوهرة براقة على صدر حسناء ، وها هو قد سقط ارضا نظير تفاحة لذيذة ناضجة مغرية .

تتنايل : حقا ، يا سيدي هلفارن ، انت توزع النعوت بحذق كرجل علم بارع . لكني أؤكد لك ان الغزال لم يبلغ السنة الاولى من عمره .

هلفارن : انا أصدّق قولك ، يا سيدي تتنايل .

بالور : أجل ، هو غزال صغير السن .

هلفارن : يا للملاحظة البديهية ! هذا مع ذلك نوع من التلميح الجريء ، كمن يشرح تفسيرا او يعطي جوابا ، ولا يتوصل الى التعبير عن خواطره . يا للحكم الجائر الأبله الخالي من كل خبرة وثقافة وتبصّر ، يعتبر الوهم كأنه غزال .

بالور : أؤكد لك ان الغزال ليس وهماً ، بل هو غزال صغير حقيقي .

هلفارن : هذه سذاجة مغلفة بالخداع . ما أقبحك ايها الجهل المخزي !

تتنايل : هذا الصبي ، يا سيدي ، لم يتذوق يوما ما تعج به بطون الكتب من فوائد جليلة • ولم يألف ابدا ما يتضمنه الحبر والورق من علوم نافعة مفيدة • وهكذا تكون ثقافته ناقصة • انه حيوان حساس فقط في أجزائه المبتذلة ، بل كاحدى النباتات العقيمة التي تعرض على أنظارنا لنكتفي، نحن اصحاب الذوق والرغبة ، راضين بحصولنا على الخصب الذي ينقص سوانا من الرجال • اذ ، كما لا يليق بنا التظاهر بالغباء والبلاهة ، كذلك لا يليق بالبليد ان يدّعي العلم والفهم ، وأن ينتسب الى اية مدرسة فكرية • غير اني لست من رأي الكهل المتقدم في السن الذي يهتف قائلا ان كثيرين ممن يقوون على تحمل الانواء ، يتجنبون مواجهة العاصفة عن حكمة لا عن خوف وعجز •

بالور : انا أقدّر سعة اطلاعك • فهل يمكنك مع كل ما تختزنه من معلومات ، ان تسمي لي مخلوقا كان عمره شهرا عند ولادة قايين ، لم يبلغ بعد حتى الآن أسبوعه الخامس ؟

هلفارن : هي دكتينا ، يا بالور الساذج •

بالور : ومن هي دكتينا ؟

تتنايل : هذا لقب يعطى لفابا والقمر •

هلفارن : القمر كان عمره شهرا واحدا عندما لم يكن عمر آدم اكثر من ذلك • ولم يبلغ القمر من العمر خمسة اسابيع حتى امسى عمر آدم مئة عام • هذا تلميح موفق من ناحية او

من اخرى .

بالور : بل استنتاج موفق جدا .

هلفارن : زادك الله علما اذ حكمت بأنه موفق .

بالور : انا أؤكد انه موفق ، لان القمر لم يكن عمره اكثر من شهر، وأؤكد من جهة ثانية ان الاميرة قتلت غزالا صغيرا .

هلفارن : سيدي تتنايل ، هل تريد أن تسمع رسالة مرتجلة عن موت الغزال . اني ، لإرضاء هذا الجاهل ، نعتّ الغزال الذي اصطادته الاميرة بأنه صغير .

تتنايل : ليطمئن بالك ، يا سيدي هلفارن . كفاك التنديد بالواقع .

هلفارن : عليّ ان أتلاعب قليلا بالكلام ، لان هذا بالذات يبرهن على حسن التصرف .

(يلقي الابيات التالية) :

للحصول على الغزال الصغير الذي صرعته الاميرة
يؤكد بعض الناس ان الغـــزال طريدة حقـــيرة
ولو شاء ان يجري بكل سرعته وقوتـــه البالغة
لقالوا هم انفسهـــم ان اصالته بدعـــة زائفة .

تتنايل : ما أروع بلاغتك !

بالور : ان فصاحته تهيمن على شخصيته ، بدون اية مبالغة ، مـــن رأسه الى أخمص قدميه .

هلفارن : هذه هبة ، حباني بها ربي ، ولا فضل لي فيها . أمـــا مخيلتي فخصبة تفاخر أجواز الفضاء بما تحويه من أشكال

وألوان وأوصاف ومشاهد وأفكار وعواطف ومهارات ، كلها مخزونة في احدى خلايا ذاكرة تغذيها العبر التي تحبل بها الصدف وتلدها الظروف . وهذه المواهب الخلاّقة بطبيعتها هي احيانا لاذعة . وعلى هذا الاساس أصرح بأن ليس لديّ من مزايا أوزعها يمينا ويسارا .

تنتايل : سيدي ، يعلم الله اني من مؤيديك ، وكل انصاري حتما يحذون حذوي نظرا الى ما تجنيه بناتهم من فوائد في عهدك ، لانك عضو صالح في مجتمعنا .

هلفارن : ثق بأن فتيانهم ، اذا كانوا يتمتعون بالذكاء ، لن تحجب الثقافة عنهم . واذا امتلكت فتياتهم المقدرة اللازمة ، سأؤمّن لهن التمرّس حتى يصبحن افضل جميع بنات حواء .

(تدخل جاكينات ، يتبعها تروني)

جاكينات (لتنتايل) : صباح الخير ، يا سيدي .

هلفارن : من منكم يود ان يصبح رجلا مثاليا ؟

تروني : من يعتبر نفسه في مصاف العلماء .

هلفارن : هذا صحيح . يجب ان يكون من العلماء . هذه فكرة ممتازة بالنسبة الى مجتمعنا ، وشعاع مضيء بالنسبة الى جوّنا المظلم ، ولؤلؤة نادرة بالنسبة الى من يستحقها . هذا جميل وملائم .

جاكينات : سيدي الفاضل ، ارجوك ان تتكرم عليّ بقراءة هذه

الرسالة التي سلمني اياها تروني من قبل «دون ارمادو» •
أتوسل اليك ان تقرأها لي •

هلفارن (يقرأ بلهجة غير مفهومة) : ••• الخ ، الخ • ايها الشيخ الكريم ، يسعدني ان اقول عنك ما يتناقله المسافرون عن مدينة البندقية • يا لك من شيخ جليل ! ان من لا يفهمك لا يسعه ان يقدرك • (يدمدم) دو ، ره ، مي ، فا ، صول• العفو ، يا سيدي • ما هو مضمون هذه الرسالة ؟ او بالحري ، ماذا يقول هوراسيوس في هذه الاشعار ؟

تتنايل : انها عويصة المعنى •

هلفارن : أسمعني بعضها او مقطعا منها •

تتنايل (يقرأ): اذا جفاني الحب ، كيف يتسنى لي ان أتغنى بالهوى ؟
أما الوعود فلا تليق الا بالحسناوات ذوات الغوى
والفكرة الراسخة في مخيلتي كسنديانة هائلة
تنحني امامك كقصبة مرضوضة في مهب الريح مائلة •
رجل العلم ان تجنب الزوغان اتخذ من عينيك كتابا
يحوي في رياض الهوى والشباب المتع والمباهج العذابا
واذا كانت الغاية هي المعرفة فان علومك كافية
واللسان الزلق يشيد دوما بمحاسنك الوافية
نفسي الحائرة تنتشي بنفح شذاكِ
وفي الحب يكفيني التأمل بروعة سناكِ
فالشوق يتجلّى في طرفك والرقة في صوتكِ

وان أضناني الجوى طلبت السلوى من وجنتكِ
انت ملاك سماوي يا حبيبتي ، فسامحي هفوتي
وان وصفت حسنك بلغة الارض فلأجد فيك جنتي .

هلفارن : انت لا تقف عند النقاط ، ولا تعطي كل كلمة ما تستحقه من نبرة خاصة . دعني أتفحص هذه الانشودة التي لا اجد فيها من صالح سوى الايقاع . اما الانسجام والسهولة في ضبط النغم الشعري فقلّ ان ارى له من أثر . وقد اشتهر بذلك اوفيديوس ناسّو . ولذلك دُعي باسمه هذا العمل الذي يفوح منه أريج الزهور تنميقا وتفننا وتحليقا في سماء الخيال والابداع . اما التقليد فلا قيمة له . لان الكلب يقتفي أثر صاحبه ، والقرد يحذو حذو حارسه ، والحصان ينقاد الى توجيه راكبه . والآن ، ايتها الآنسة العفيفة ، هل هذا مرسل اليك ؟

جاكينات : نعم ، يا سيدي ، من قبل مولى يدعى دون أرمادو .

هلفارن : دعيني ألقِ نظرة على العنوان: «ليد السيدة روزالي البارعة الجمال ، الناصعة البياض كالثلج» وبتفحّصي مجددا أختام التحرير ، أتعرف الى شخصية كاتبه ، وشخص المرسل اليها : «المخلص لجمالك الغض — بيرون» . فيا سيدي تنايل ، ان بيرون هذا طالب جديد يرافق الملك . وقد وجه الى احدى فتيات الاميرة الغريبة رسالة ضلّت طريقها صدفة او عن سابق قصد . (لجاكينات) اذهبي

بعجلة ، يا فاتنتي ، وسلمي هذه الورقة الى جلالة الملك ، فقد تكون لها اهمية كبيرة • لا تتوقفي اثنـاء سيرك اذا سمعت بعض المديح ، وأنا اعفيك من رسميات التحية • الوداع •

جاكينات : تعال معي ، يا تروني الكريم • حفظك الله على مـدى الايام •

تروني : ها انا في خدمتك ، يا بنيتي • (يخرج تروني مع جاكينات)•

تتنايل : سيدي ، لقد تصرفت الان بما يرضي ربك وضميرك ، كما يقول اساطنة الفلسفة •

هلفارن : مولاي ، ارجوك ان لا تكلمني عن الاقدمين لاني اخشى المضلّلين منهم ، بل لنعد الى هذه الاشعار • كيف تجدها ، يا سيدي تتنايل ؟

تتنايل : ممتازة من ناحية السبك والاسلوب •

هلفارن : اليوم انا مدعو الى الغداء عند والد احد تلامذتي ، فأرجوك ان تنضم الينا قبل ان نجلس الى المائدة لمشاركتنا الطعام • اذ بموجب دعوة اهل تلميذي ، ادعوك وأرحب بك الـى هذه المائدة • هناك أثبت لك ان أبياتك غير مكتملـة الوزن ، اذ ليس فيها نفحـة شعر ولا روح ابتكار • فألتمس عفوك على صراحتي •

تتنايل : اني أقبل الدعوة بامتنان • لان المجتمـع حسب النصوص المقدسة ، يعمل على تحقيق السعادة في الحياة •

هلفارن : وبالطبع ، هذه النصوص تؤدي الى نتيجة اكيدة لا تقبل الشك . (لبالور) اني ادعوك انت ايضا ، يا سيدي ، فلا ترد طلبي خائبا . هيا نذهب ، لان البلاط الملكي منصرف الى متعة الصيد ، ونحن ايضا نريد ان ننال نصيبنا من التسلية . (يخرجون) .

المشهد الثالث

في احد مماشي الحديقة

(يدخل بيرون ، وبيده ورقة)

بيرون : الملك يلاحق الغزال ، وأنا أسلّم عنقي . هو يأسر الحيوان بالشبك ، وأنا ألصق بدبق الحب اللزج . يا للفظاعة ! ما اشقاني ! كما يقول هذا المجنون ؛ وكما اقول انا المتهوّس ايضا . ان الامعان في التفكير يخلّ بتوازني العقلي ، وكسائر العشاق يفقدني رشدي احيانا ، ويحجب عني رزانتي عندما يستبد بي الشوق المبرّح . ها هوذا تحليل منطقي يعذرني . كلا ، انا لا اريد ان أعشق . وعندما اهوى استحق الشنق ، لذا قررت الابتعاد عن الحب . ولكن ، لولا عيونها السوداء ، او بالحري لولا سحرها المستبد لما تدلّهت هكذا بهواها . انما لا يسعني تكذيب

نفسي وتكذيب وعودي • أنا عاشق ، والحب علمنـــي
ضبط القوافي بعد ان غمر روحي بالاحزان • هذا نموذج
من أشعاري ومن كآبتي • وفوق ذلك ، هي تحتفـــظ
باحدى قصائدي : المجنون ارسلها ، والغبـــي حملها ،
والسيدة استلمتها • هذا جنون مطبق وهذيان غير معقول
حيال رصانة سيدة كاملة الاوصاف • وحق الكون ، لن
استاء اذا ضبط احد من رفاقي الثلاثة بجريـــرة مثلي •
ها هوذا أولهم يصل وبيده ورقة • أطلب من الله ان يفرّج
همّه وكربته • (يتسلق شجرة) •

(يدخل الملك وبيده ورقة)

الملك : وا أسفاه !

بيرون (على حدة) : لقد ذهب المسكين ضحية عواطفه • تابع ، يا عزيزي
كوبيد ، لانك أصبت بسهمك عصفورا كبيرا في صميم
عنفوانه • وها قد افتضح امره الآن •

الملك (يقرأ) : الشمس الذهبية اللون لا تمنـــح قبلة احلى
للورد المتفتح النضير من بسمة الفجر اطلى
تحاكي نظراتك عندما ترسل نورها الوضّاح
على وجهي الكئيب وقد رطّبه ندى الصباح •
القمر المنير لا يضاهـــي ضياءها الصافـــي
وهو عذب كماء النبع المترقـرق الشافـــي
ألا ليتها تكفكف سيل دموعـــي السخينة

المتدحرجة على خديّ من مآقيّ الحزينة .
كل دمعة حرّى تؤجج نار حبي المسالـــم
وفي تدحرجها تخترق قلبي الجريـــح المعالم
فانظري وارحمي دمعـي المنهمر مـن المحجر
وتلمّسي هيامي من خلال اساي المنفجـر .

وإلا ارحلـي ولا تزدري ، فأنت العـــزاء
واذكري دومـــا انك العلة وانك الدواء .
يا ربة الحسن، كم انتقاسية، ان صدّك جريرة
اليها قلبي غير مرتاح ، ولا نفسي قريرة .
آه ! كيف أدعها تشعر بولهي وعذابي ؟ سأترك هذه الورقة
تقع مني . فيا ايتها الورقة اللطيفة اشفقي على هجراني .
من الآتي الى هنا ؟ (يختبيء خلف شجرة) .

(يدخل لنكفيل وبيده ورقة)

الملك : ما وراءك ، يا لنكفيل ؟ انه يقرأ ، فلأصغِ اليه .
بيرون (على حدة) : إظهر على حقيقتك ايها المجنون الجديد على صورتي انا بيرون .
لنكفيل : وا أسفاه ! لقد انكشف سري .
بيرون (على حدة) : في الواقع، هو آت كالتهمة المكتوبة على لوحة القدر.
الملك (على حدة) : أرجو ان يكون عاشقا ، فيمسي زميلي بهذا العـار المستطاب .
بيرون (على حدة) : ان السكران يميل دائما الى كل ثمل نظيره .

لنكفيل : هل انا اول من افتضح امره ؟

بيرون (على حدة) : أؤكد لك ذلك . وأنا اعرف اثنين مثلك . فأنت تكمل المثلث الذي يهيمن على مجموعتنا ، أعني المثلث الذي جلده الحب بسياط الهجران حين استشهدت امانينا .

لنكفيل : أخشى ان لا تكفي هذه الاشعار الهزيلة لاستمالتها . يا ماريا الحلوة ، يا مالكة مهجتي ، سأمزق هذه المقاطع الشعرية وسأكتب لك نثرا .

بيرون (على حدة) : ان الاشعار هي مثل التطريز على أذيال وشاح إله الحب المستهتر ، فالامل ان لا تشوّه روعته .

لنكفيل : باذن الله ، سيسهل الامر (يقرأ) :

أليست النجوم هي دروب الجنان الى عينيكِ
لا سبيل الى بلوغها الا من خلال شفتيكِ
قد سمتِ قلبي المتيَّم اقسى العذاب
ونقض العهد في هواك يستحق العقاب .
لقد جفوتُ حواء ، ولكني سأثبت لكِ
وأقنعك بأن هجري لا يتناول شخصكِ
لأن عهدي ارضيّ وأنت حبك سماوي
وهباتك الفيّاضة وحدها تشفي وتداوي
الوفاء تلتزم به نفسي ، والنفس ليست بخار
ما دامت الشمس تسطع فوق الارض والبحار
هل تريدين ضم فؤادي اليك وهو فيك يذوب
وان خنتِ عهدك فذنبي من أفظع الذنوب

عندما اراني مخطئا ، أي جنـــون ينكر ويبيح
فالتضحية بقسَمي لا تكسب الجنة ولا تريح •

بيرون (على حدة) : ها هي المحبة الهزيلة تصنع من الجسد إلهاً ، ومـــن
الاوزة الحمقاء قديسة • ما أحطها من عبادة أوثان • لقد
عاقبني ربي لاني حدت عن الطريق القويم •

(يدخل دماين وبيده ورقة)

لنكفيل : مع من ارسل هذا ؟ انا لا ارى احدا آتيا • سأقف جانبا
وأراقب • (يقف جانبا) •

بيرون (على حدة) : هذه لعبة صبيانية قديمة • مثل نصف إله ، انا غارق
بين الغيوم وأتأمل الكشف من الاعالي عن اسرار هـــؤلاء
الهائسين البؤساء • ها هو شخص آخر قد وقع في الفخ •
يا إلهي ، لا تخيب رجائي • ها هو دماين ايضا قد تغير •
فبتنا اربعة عصافير في قفص واحد •

دماين : ما أكرم هذه المنّة السماوية !

بيرون (على حدة) : تباً لك من دجّال محتال •

دماين : بحق السماء ، انها أعجوبة تبهر العيون الكليلة •

بيرون (على حدة) : انت مراوغ أفّاك • والله ، لها جسم يراود عصمة
النسّاك •

دماين : الذهب يفقد لمعانه بجانب شعرها الاشقر •

بيرون (على حدة) : ان الغراب الأبلق يستلفت الانظار •

دماين : قدها المستقيم أشبه بالنعامة المتشامخة •

بيرون (على حدة) : انما لا بد من تطعيمها • فكتفها مشتاق الى حمـــل الاطفال •

دماين : وبشرتها ناصعة كضوء النهار •

بيرون (على حدة) : بل هي كامدة اللون كبعض الايام التي لا تسطع فيها الشمس •

دماين : آه لو تحققت احلامي !

لنكفيل (على حدة) : وأحلامي انا ايضا •

الملك (على حدة) : وأحلامي انا ايضا ، يا إلهي !

بيرون (على حدة) : آمين ، بشرط ان تتحقق أحلامي انا ايضا • إلهـــي استجب دعائي •

دماين : أريد ان انساها • لكنها كالحمى متغلغلة في دمـــي ، ولا يسعني الا ان أفكر بها •

بيرون (على حدة) : اذا كانت الحمى في دمك ، فان قليلا من فصد الدم سيحملك على افراز ما بك بالنزف لتبرأ •

دماين : لأراجع مرة اخرى القصيدة التي نظمتها •

بيرون (على حدة) : سأرى الان كيف ينوّع اساليبه في الحب •

دماين (يقرأ): ذات يوم مشـــؤوم ، طغى فيه واستبـــد
حب لا تـــدوم وروده الـــى الابـــد
واكتشفت زهـــرة نضرة عطـرة ساحـــرة
تختال تيهـــا ودلالا وتشرئب حائـــرة
تداعب اوراقهـــا أنامل النسيم العليـــل

ناعما مدغدغا متمايـــــلا يتلمس السبيـــــل
حتى هفا العاشق الولهان المريض المدنـــــف،
وراح من أنفاسها العاطـــرة يتنشق المتصوّف
فصحت ، يا ايها النسيم الشافي ، بح لي بسرك
واخبرني لمـــاذا لا يتسنى لي ان اظفر مثلـــك
بما اني أقسمت اليمين ونويت حفـــظ عهدها
فلا تجافيني وتقصيني ، فتراني دوما عبدها .
انما هذا القسَم ، يا للاسف، يشق على الشباب
الذي يصبو الى قطف الازهار قبـــل الغياب
لا تلوميني، لا تصدّيني ، لا تعاتبيني على ذنبي
فأنا لا أحنث بوعد قطعتـــه ولا أتنكر لحبـــي
يا من بقربك الإله المشتري المتيّـــــم يقسم
بأن جينون حبيبته على الدوام مفترّة الثغر تبسم.
فلأجل سعادتك الغالية ارتضيت المـــوت الزؤام
وفي سبيل هواك تعذبتُ وبتُّ شهيد الغرام.
سأرسل هذا مع عبارات أشد تأثيرا تؤكد صدق أشواقي
وحبك المضني. وأدعو الله ان يرمي الملك وبيرون ولنكفيل
بالهوى مثلي . فيوازي ذنبهم حينئذ غلطتي ويمحي عـــن
جبيني انا الولهان عار فضيحتي . اذ لا احد في الواقـــع
يُعدّ مذنبا عندما يخطىء الجميع .
لنكفيل (يتقدم على خشبة المسرح) : دماين ، ان حبك لا يواسي زميلك

في العذاب • يمكنك ان تبدو شاحب اللون على هواك •
غير ان وجهي يحمر خجلا اذا ما فاجأني احد في هـــذه
الحالة من الانهيار •

الملك (يتقدم نحو لنكفيل) : عليك ان تستحي ، يا سيدي ، فأنت فـــي
نفس وضعه ، وبلومك اياه ترتكب جرما مزدوجا • كلا ،
انت لا تحب ماريا • ولنكفيل لم ينظم اية قصيدة فـــي
مدحها ، ولم يشبك احد ذراعيه على صدره ليكتم خفقان
قلبه المتدلّه • منذ هنيهة ، وأنا مختبىء بين الاشجـــار
المجاورة ، راقبتك وقد ساورني الخجل من تصرفك لدى
سماعي أشعارك الجريئة ، ولاحظت استرسالك فـــي
التنهد العميق المتصاعد من صدرك ، وأيقنت بأنك غارق
في بحر التأمل والاعجاب • فهتفت انت متأسفا ، وصاح
رفيقك : أعنّي ايها الإله المشتري • انت أشدت بوصف
الشعر الاشقر ، وهو تغزّل بالعيون الصافية كالبلّور •
(للنكفيل) ارى انك مستعد ، لكي تدخل الجنة ، ان تتنكر
لايمانك ووعودك • (لدماين) اما الإله المشتري ، فاكراما
لحبيبته قد برّ بقسَمه • فماذا سيقول بيرون عندما يدري
بأنك جحدت ايمانك وقد اقسمت للمحافظة عليه متحمسا •
كم سيتندّر بك ، وكم سيندد بتصرفاتـك ، وكـــم
سيتشفّى ويبالغ بالابتهاج ويغرب في الضحك مقهقها •
انا لن ارضى ابدا، ولا لقاء ذهب العالم أجمع، ان يعلم بمثل

هذا من اسرار قلبي .

بيرون : دعهم يشاهدونا الآن ، لنكشف رياءهم (ينزل عن الشجرة ويوجه كلامه الى الملك) عفوك ، ايها الملك المفدّى . هل تسمح لك رقة قلبك بأن تلوم هذين العاشقين على ما يملأ صدريهما من الحب ، بعد ان داعب الهيام فؤادك . أولم تنهمر دموعك على وجنتيك من جراء حرمان ناظريك من التمتع بسنى جمال اميرة فاتنة ؛ وأنت لا تريد افتضـاح امرك لانك تعتبر ان في ذلك منتهى الحرج . اما نظـم القصائد فلا يلائم الا المبتذلين الذين لا يخجلون . وأنتم الثلاثة لا تخجلون من ضبطكم هكذا بالجرم المشهود . (يشير الى دماين ولنكفيل) لقد ابصرتـم القشة في عين الملك ، وهو شاهدها في أعينكم ايضا ، وأنـا قد رأيت الخشبة في عين كل واحد منكم انتم الثلاثة . وما عساي ان أعاين ، وأي مشهد مؤلم ، وتنهد عميق وأنين وتفجّع ألاحظ ؟ كم ابديت من صبر لأبصر بهدوء ملكا يتحـول الى ذكر نحل ، والاله المشتري يدور في حلقـة ضيقة ؛ وسليمان الحكيم يدمدم بعض الانغام ، ونسطور يداعب اولادا ، وتيمون المراقب يتلهى بالالعاب . قل لي ، يـا دماين ، مما يشكو ؟ وأنت ، يا لنكفيل الظريف مـاذا يوجعك ؟ وماذا يعذب مليكي ؟ جميعكم تتضايقون مـن خفقان قلوبكم ، وتحتاجون الى الاخلاد الى السكينة .

الملك : ان هزءك مرير للغاية • لماذا فضحنا ذواتنا جميعا هكـــذا امامك ؟

بيرون : انت لم تخن نفسك • انما انا الشريف اعتبرت ذاتي خاطئا لمخالطتي المغفلين المتسمين بالضعة وعدم الاستقرار • متى شاهدتموني انظم القوافي بحب امرأة مستهترة ، او اضيع دقيقة واحدة في مغازلتها ؟ متى سمعتموني أشيد بيد او برجل او بوجه او بنظرة او بمظهر او بعاطفة او بجبهة او بصدر او بقامة او بساق او بأي عضو من الجسم ؟

الملك : مهلا • لماذا تسترسل في الغيظ هكذا سريعا ؟ بربك قل لي هل هو رجل شريف او لص سارق من ينسحب هكـــذا بعجلة ؟

بيرون : انا هارب من الحب • فدعني ايها العاشق الكريم أنصرف بسلام •

(تدخل جاكينات وتروني)

جاكينات (في يدها رسالة) : أطال الله عمر مولانا الملك •

الملك : ما هذه الهدية التي تحملينها ؟

تروني هي خيانة اكيدة •

الملك : ما دخل الخيانة هنا ؟

تروني : لا دور لها هنا ، يا مولاي •

الملك : ما دامت الخيانة لا تسفر عن نتيجة مرضية ، يمكنـــك ان تصطحبها وتذهب في سبيلك •

جاكينات (تري الملك الرسالة) : ألتمس من جلالتك ان تطلب من احد ان يقرأ لك هذه الرسالة • فان تتنايل يشك فيها ويظن انهـا تنطوي على خيانة ما •

الملك : اقرأها لنا ، يا بيرون • (يأخذ بيرون الرسالة ــ لجاكينات) ممن استلمتها ؟

جاكينات : من تروني •

الملك (لتروني) : وأنت من اعطاك اياها ؟

تروني : دون أرمادو ، دون أرمادو • (يمزق بيرون الرسالة) •

الملك : ماذا دهاك ؟ ولماذا تمزق الرسالة ؟

بيرون : لانها بذيئة ، يا جلالة الملك ، لانها بذيئة • لا يقلق لك بال من نحوها •

لنكفيل : لقد سببت له اضطرابا عميقا • فلنقرأها اذاً •

دماين (يلم القطع الممزقة) : هذا خط بيرون • وهذا اسمه •

بيرون (لتروني) : تباً لك من غبي أحمق ، ايها اللقيط المنحط • هـل وجدت على الارض لتلطخ اسمي بالعار ؟ (للملك) انـا مذنب ، يا مولاي • انا أقر وأعترف بأني مذنب •

الملك : ما هذا القول ؟

بيرون : انا مهووس • لقد كنتم انتم الثلاثة بحاجة الي لتؤلـف رباعي اللعبة • فأنا وأنت ، ايها الملك ، وهو معنا ، جميعنا لسنا سوى متهتكين ساعين الى ملذات الغرام ، ولذلك نستحق الموت • فأرجوك ان تصرف هؤلاء الحاضريـن

لأحكي لك المزيد •

دماين : الان نحن نشكل عددا مفرداً •

بيرون : هذا صحيح ، يجب ان نكون اربعة • فهل سيمضي هذان المتصابيان ؟

الملك (لجاكينات وتروني) : اذهبا انتما ، هيا اذهبا •

تروني : هلم بنا ننصرف ، ايها الأفاضل ، ولندع المخالفين هنـــا وحدهم (يخرج مع جاكينات) •

بيرون : ايها العشاق الاعزاء ، لنتعانق ، فاننا من لحم ودم • لا بد للبحر من المد والجزر وليقضِ الله امرا محتوما • ان نزق الشباب لا يسعه ان يخضع لنصائح المسنين ونحن لا قدرة لنا على معاندة الغاية التي لاجلها خلقنا • لذلك ، لا بد لرغباتنا من ان تورّطنا بمشاكل العاشقين •

الملك : ان الرسالة التي مزقتها انت ، برهان قاطع علـــى ان بيرون مغرم •

بيرون : انتم تسألونني : من يمكنه ان يرى الملك وروزالي بدون ان يحني رأسه تقديرا ، تماما كالهنود الحمر البدائيين امـــام طلائع أشعة الشمس المشرقة • وفجأة ، وقد نسي ذاته ، قبّل التراب الذي تطأه قدماها ، وعفّر به وجهه الوضيع؟ من يجرؤ على التأمل في جبينها العالي ، بدون ان يبهـــر نظره جلال بهائها ؟

الملك : أية عبقرية بل أي نبوغ ألهمك هذا الكلام ؟ ان حبيبتي .

وهي سيدة محبوبتك ، أشبه بقمر ساطع ، وحبيبتـــك روزالي ليست بجانبها سوى كوكب يدور في فلكها وتكاد العين تقوى على التطلّع اليها .

بيرون : اذاً عيناي ليستا بعينين ، وأنـــا لست بيرون . اذ بدون محبوبتي ، ينقلب نهاري ليلا ، لان أبدع الالوان الرائعة تزين محياها حيث تلتقي جميع ملامح الجمال وتنعكس في مقلتيها الساحرتين ، ولا ذرّة مما تتمناه الحسناوات مـــن تألق ونضارة ينقص بهاء طلعتها السنية . أعيروني مقدرة البلاغة والبيان ، لأصفها لكم . كلا : ان أزهى النعوت تأتي هزيلة ولا تفي بالمرام . لان البضاعة الكاسدة وحدها تحتاج الى الترويج والشكران . بينما حبيبتي تفوق كل مديح ، والثناء الضئيل يقلل من حسن رونقها . فالناسك الهرم بالرغم مما يثقل كاهله من أعوام ، يستطيع ان يهزم خمسين بما يستمده من قوة اشعاع نظراتهـــا الجذابة ، وجمالها يضفي الاخضرار على خريف العمر وينشـــط الشيخوخة ، ويهب المتوكىء على عكازه همـــة الفتيان . انها كالشمس الخيِّرة التي تمنح كل ما في الحياة مـــن بهجة ومرح .

الملك : محبوبتك سوداء كخشب الابنوس .

بيرون : ان كان الابنوس يشبهها ، فيا له من خشب كريم ثمين ! وبما ان السعادة تتجسم في زوجة بلون هذا الخشب النادر ،

فلا يسع الرجل ان يخون عهدها • اين الكتاب المبجّل
لأحلف عليه ، بأن الجمال لا يكون جمالا اذا لم يستمد
منها روعته ، وليس من وجه بشوش أشد بهاء من محياها
المشرق •

الملك : يا للتناقض الفاضح ! ان السواد شعار الجحيم ، ولون
الابراج المريعة وغضب الليل الفاحم ، وان يكن ايضا سحر
الجمال وروعة السماء المتلألئة •

بيرون : ان الأبالسة الاكثر اغواء يشبهون أشباح العتمة • وإن تكلل
جبين سيدتي بالسواد ، فلأنه لبس الحداد بسبب رؤيته
كذا من الوجوه المتبرّجة وكذا من الشعر المستعار الذي
يسبي عقول العشاق ويستر خداع مظاهرهم الغشاشة •
لقد جاءت الى هذا العالم لتقلب السواد الى سناء فتّان •
وها هو لونها يتبدل نظير ايامنا الحاضرة • فتورّد الطبيعة
غدا احسر قاتما ، وكذلك الخدود المحمّرة التي تهرب من
البشاعة وتتجلل بالسمار لتحاكي ما يكلل جبهتها من شعر
ناعم فاحم اللون •

دماين : ولكي يتشبه منظفو المداخن بمظهرها ، تراهم اتشحوا
بالسواد •

لنكفيل : ومنذ قدومها اشتهر الفحّامون باستئثارهم بمعالم الجمال •

الملك : وراح اهالي الحبشة يتبجحون ببهاء لون بشرتهم المغرية •

دماين : العتمة تحتاج الى الشموع ، كي يبدد نورها وحشة

الظلام .

بيرون : ليس بين حبيباتكم من تجرؤ على التعرض الى المطر خوفا من ان يذهب بسوادها الزائف الزائل .

الملك : اما حبيبتك انت ، فلا خشية عليها من الماء لان محياها ، بكل صراحة ، يا عزيزي ، يظل بين شتى الوجوه غير المغسولة ، أشد سوادا من سواه .

بيرون : انا مستعد لان أثبت لكم انها الضياء بعينه ، ولو اضطررت الى مواصلة الكلام حتى يوم القيامة .

الملك : وفي ذلك الحين ، لن يوجد شيطان يخيفك اكثر منها .

دماين : لم آرَ في حياتي رجلا يذمّ امرا مفيدا كهذا .

لنكفيل (يشير الى حذائه) : هذه هي حسناؤك ، فانظر الى رجلي تبصر محياها .

بيرون : عندما يسي وجهك بلاطا للشوارع ستكون أقدامها أنعم من ارض كهذه فتأبى ان تطأها .

دماين : بئس سيرها على بلاط آي شارع ، لانها تبدو حينئذ كأنهـا تمشي على قلبك .

الملك : ما الفائدة من هذا النقاش ؟ أولسنا جميعنا مغرمين ؟

بيرون : بكل تأكيد ، ولذا ترانا كلنا متورطين وواقعين في حبائل الحب .

الملك : دعونا من هذه الثرثرة الفارغة . وأنت يا عزيزي بيرون ، يجدر بك ان تبرر لنا حبنا الشرعي ، وتبرهن ان نيتنـــا

سليمة ٠

دماين : والله هذا عين الصواب ٠ دبروا لنا بسرعة تغطية لأغلاطنا ٠

لنكفيل : وحجة لتبرير سلوكنا المشبوه ، بل نزعة صوفية ونزاهة تفحم إبليس ٠

دماين : حبذا التستر على ورطتنا ٠

بيرون : لدينا أوفر مما نحن بحاجة ليه ٠ انتبهوا اذأ يا عبيد اللهو والهوى ٠ فكروا بما اقسمتم اليمين على القيام به من صيام ودرس وامتناع عن رؤية النساء ٠ فهذه في الحقيقة محاولة لاغتيال عنفوان شبابنا ٠ قولوا لي هل يمكنكم ان تصوموا ؟ ان معدكم الضعيفة لا تتحمل الاقلال من الطعام لئلا تصابوا بأمراض شتى ٠ وبقسمكم على انصرافكم الى الدرس ، يا سادتي ، كل واحد منكم قد كفر بالكتاب الحقيقي الاصيل ٠ هل يمكنكم ان تتأملوا دائما وتحلموا دائما وتفكروا دائما ؟ كيف يتسنى لجلالتك ، ولكم ، يا سادة ، ان تكتنزوا جوهر الدرس بدون ان تستنيروا بجمال عيون المرأة وأنوثتها الناعمة ؟ ان الادمان على الدرس يخنق في الصدر بهجة الحياة ، كما تستنفد الحركة وطول الطريق همة المسافر بعد ان ينهكه الضجر ٠ عندما وعدتم بعدم التطلع الى محيا حواء قد شجبتم الاستفادة من عيونكم لمشاهدة العالم الرائع الذي يلقنكم مبادىء الجمال المتمثل في نظرة المرأة الحسناء ٠ العلم هو ألزم ما

نحتاج اليه للنجاح . وحيثما كنا لا بد لنا من اللجوء اليه.
فاذا رأينا ذواتنا في عيون النساء ، أولا نرى ايضا فيها
وحي علومنا . لقد نذرنا انفسنا للدرس ، يا سادتي، وبهذا
النذر كفرنا بكتبنا الحقيقية . قل لي ، يا مولاي ، وأنت
يا سيدي ، هل وجدت في التأمل شاعرية هكذا ملتهبة حبا
وصبابة مثلما يصوره لك اغراء غادة فاتنة تغدق عليك
كنوزها . ان مجمل العلوم تظل عقيمة في الدماغ وعديمة
الفائدة ، لا تعطي عند الحصاد الغلال المنشودة مهما بذل
في جدية العمل من جهد ومشقة . لكن الحب اذا علمته
عينا المرأة لا يبقى سجين الفكر . بل يحرك جميع العواطف
وينتشر سريعا كالشعور في كل حواسنا ، ويعطي مجموع
قوانا نشاطا مضاعفا بتجديد حيوية القدرة ومضاعفة الجلد
على العمل والانتاج . انه يمنح البصر نظرا غاليا جديدا ،
لان عين العاشق تفوق حدقة النسر حدة ، وأذن العاشق
تلتقط أخفت الاصوات التي يعجز عنها حتى سمع السارق
اليقظ ، وذوق المغرم سليم وحساس اكثر من قرني
الحلزونة المطلة من قوقعتها . وبالنسبة الى الحب ، يبدو
ذوق إله الخمر باخوس الشره سمجا . ومن ناحية القوة
والبأس ، أوليس الإله هرقل متأهبا على الدوام لتسلق
الاشجار الباسقة ؟ هو صامت هادىء نظير ابي الهول ، هو
عذب ورخيم نظير قيثارة الاله ابولون ذات الاوتار الذهبية

الرائعة . وعندما يتكلم الحب تسبحه جميع طغمات السماء
بصوت ملائكي ، ولا يجرؤ الشاعر على تناول ريشتـــه
لينظم اذا لم يكن موضوعه مغسولا بدموع الحب . عند ذاك
تطرب أشعاره حتى آذان الطغاة العتاة الذين لا يعرفــون
للحلاوة والنعومة معنى . كل هذه المعلومات القيّمـــة
مستمدة من عيون حواء التي تلمع بلهيب الشوق والحنين ،
وتوحي التآليف والفنون وتلهم المجامع العلمية التي تثقّف
وتوجه وتنوّر العالم بأسره ، وبدونها لا سبيل للابداع في
أي مجال . لقد برهنتم على حماقتكم حين تعهدتم بتنفيذ
وعودكم . فباسم الحكمة العزيزة على نفوس معظـــم
الرجال ، وباسم الحب الذي تهفو اليه قلوب المحبين وباسم
الرجال الذين يقدرون أنوثة المرأة ، وباسم النساء اللواتي
يخلقن فينا نحن الرجال روح الرجولة والاقدام نضحـــي
بايماننا لصيانة مصلحتنا ، اذا لم نعمد الى التضحية بأنفسنا
لحفظ عهودنا . ان نكران الذات هو مــن صميم ناموس
الحياة والدين الصحيح ، والمحبة اساس الشرائع الالهية ،
فكيف نفرّق بين الحب والصلاح ؟

الملك : أستحلفكم بقدسية الحب ، ايها العشاق ، ان تتأهبوا وتسيروا
الى الامام .

بيرون : ارفعوا أعلامكم ، يا سادتي ، وكرّوا على أعداء الخير ،
واكتسحوهم بلا شفقة ، واجتهدوا ان تستبسلوا وتنتصروا

في معركة الشهامة والشرف •

لنكفيل : لننتقل الى الاعمال ، كفانا براعات كلامية • هل نحن مصممون على مغازلة ابنة حواء ؟

الملك : نعم ، وعلى امتلاكها ايضا • لنفكر اذاً بوسيلة تمكننا من خطب ودها •

بيرون : ليوصل كل منا رفيقته الجميلة من الجنينة الى مخدعها • وفي اثناء الطريق يتأبط ذراعها ويداعبها ، ثم يسليها بمتعات لذيذة لن يعدم وسيلة لارتجالها في برهة وجيزة • لان الحفلات والرقصات والنكات وهنيهات الطرب الحلوة يجب ان تسبق الحب ، وتفرش دروبه بالازهار والرياحين •

الملك : تعالوا نذهب بدون ان نضيع لحظة من الوقت الذي نستطيع الاستفادة منه الى اقصى حد •

بيرون : هيا بنا • ان بذار الزؤان لا يعطي قمحا ، وميزان العدل يتأرجح غالبا بين الحق والباطل ، والصبايا المستهترات لا يترددن في فضح الرجال المترددين ، فنقبض عندئذ أجر عملنا ونجني ما زرعت أيدينا • (يخرجان) •

الفصل الخامس

المشهد الاول

في قسم آخر من الحديقة

(يدخل هلفارن ، وسير نتنايل وبالور)

هلفارن : وقانا الله شر هذا النهار .

نتنايل : اشكر الله ، يا سيدي . ان حديثك على المائدة اثناء الغداء كان مثيرا بدون ازعاج ، وطليا بدون خطورة ، وفكاهيا بدون لذع ، وجريئا بدون اباحة ، وعلميا بدون تبجح ، وغريبا بدون خروج عن المألوف . لقد اتفق لي ان كلمت ذات يوم رفيقا للملك يدعى دون أدريانو دي أرمادو ، فما رأيك فيه ؟

هلفارن : هذا رجل متقلب المزاج ، حاد الطبع ، جارح اللسان ، ناعس
الطرف ، مترنّح المشية ، ماجن السلوك ، سخيف متهتك .
هو متكلف مدّعي متصنع مبتذل ، وبكلمة ، غير اهل
للركون اليه والوثوق به .

تتنايل (يأخذ دفتره ويكتب) : هذه نعوت منوعة مختارة .

هلفارن : ان لحمة حديثه أوهى من نسيج العنكبوت نظير حججه
واستناداته . انا أكره أهواءه المتعصبة وفظاظة معشره
وعباراته المشبوهة التي تشوه الحقائق وتحرّف المعاني .
وهذا لؤم من قبل دجّال يُعتبر وجوده عارا على البشرية،
ويجب ان يحسب في عداد المفسدين المنبوذين .

تتنايل : وقانا الله شرّه .

هلفارن : حقا ، حمانا الله من أذاه .

(يدخل ارمادو وفالان وتروني)

تتنايل : منَ الآتي ؟

هلفارن : صديق .

ارمادو (لفالان) : ونعمَ القادم .

هلفارن : اهلا ومرحبا .

ارمادو (يلتفت الى هلفارن وتتنايل) : يسرني ان أقابلكم، يا رجال السلام.

هلفارن : تحية عسكرية ، يا سيدي .

فالان (بصوت خافت لتروني) : كانا في مأدبة الألسنة الطويلة ، وقد اغتنا با
سمعة عدد من الصبايا .

تروني (بصوت خافت لفالان) : انهما يعيشان على لغو الكـلام الذي لا يستحق الا القاءه الى سلة المهملات . يدهشني من سيدك ان يصدّق اقوالهما ، ولا يكون حتى الان قد كذّبهما رغم كل تبجحهما وتطاولهما ، وهو يظنهما سهلي الالتهـــام كاللحم المشوي .

فالان : اصمتوا . لقد شبت النار .

ارمادو (لهلفارن) : هل انت من المثقفين ، يا سيدي ؟

فالان : هو يعلّم الاولاد الابجدية . (لهلفارن) وماذا يعلمهم ايضا ؟

هلفارن : ان يلفظوا : با ...

فالان : با ، با ، با . ويجعل منهم أكباشا بقرون .

هلفارن : وكيف يعلمهم الكتابة ؟

فالان : حسبما يخطر بباله ، لا ادري كيف .

هلفارن : مثلا : انا ، يكتبها : ألف نون ألف .

فالان : والكبش ، يعني انت : ألف نون تاء . (لأرمادو) هل لاحظت مهارته ؟

ارمادو : بحق البحر المتوسط المالح ، هذا علم وفن منقطع النظير ، وهو يزكي شعلات متوقدة من الفطنة . فلا نكاد نعـــدّ واحدا واثنين حتى نصل رأسا الى الغاية . وهذا يزيـد ادراكي اقتناعا بفوائده الفائقة .

فالان : انت كالطفل تقيس النباهة بخبرة الشيوخ .

هلفارن : هذا استنتاج ولد يضرب الارض نزقا بكعب حذائه .

فالان : اعطني قرنك كي اصنع منه كعبا لي ، وأحطم به عماهـــة قلبك ، ثم اصنع من قرن زوج مخدوع أجود الكعاب .

تروني (لفالان) : لو بقي لي فلس واحد من مال هذه الدنيا لاعطيتك اياه كي تشتري لي قالب سكر . (يعطيه قطعة نقود صغيرة) هذا ما تستحقه من أجر تلقيته من سيدك . ليس لك ، يـــا مستودع الذكاء ، مقدار ذرّة من التمييز . آه ! لو قيّض الله لك ان تكون لي ابنا لربيتك افضل تربية ، ولما أغفلت صفة تليق بك حتى الكياسة ، الا حلّيت بها طبعك .

هلفارن : ما اكثر الدواهي المختبئة تحت مظاهر السواهي !

ارمادو (يأخذ هلفارن جانبا) : انت حقا رجل علم ، ويجمل بك ان تبعدنا عن جهل البرابرة . أولست انت من يدفع الشبيبة الـــى المدرسة الفريدة القابعة على رأس الجبل .

هلفارن : انت تعني اعلى الرابية .

ارمادو : كما تشاء ، بل قل الرابية بدل الجبل .

هلفارن : انا لا أخالفك .

ارمادو : ان الملك يجد متعة بل رغبة جامحة في استقباله الاميرة تحت سقف قصره حول آخر النهار الذي يسميـــه عامة الناس بعد الظهر .

هلفارن : آخر النهار ، ايها المولى المحترم ، هو تعبير مناسب جدا وفي محله ، ينطبق على ما بعد الظهر . والكلمة منتقاة ورخيمة وملائمة من كل نواحيها ، يا سيدي .

ارمادو : الملك رجل نبيل كريم ، وأؤكد لك انه صديقي الحميم .
سأحدثك عن عدم التكليف القائم بيني وبينه . فعندما
يستقبلني يطلب مني ان أعيد قبعتي الى رأسي بدون أية
كلفة ، وهو يكلمني بكل بساطة ، كما لو كنت اخاه .
لننتقل الان الى موضوع آخر . أؤكد لكم بشرفي ان
جلالته يتوكأ احيانا على كتفي ، وتداعب انامله الملكية
شعري وشاربي . لننتقل ايضا الى موضوع آخر ، يا
عزيزي . أكرر عليك اني أقسم بشرفي بأني لا أقص عليك
حكاية مختلقة . ان جلالته لا يتأخر عن منح أرمادو امتيازا
خاصا بصفته محارب جاب معظم أقطار المعمورة . لننتقل
الى موضوع جديد . بالاختصار اقول ، وأنا يا عزيزي
ألتمس منك الكتمان ، ان الملك رجاني ان أقدم للاميرة
الجميلة بعض المشاهد المسلية والاستعراضات المشوّقة
والالعاب النارية . واذ علمت بأن الصديق تتنايل ، وبنوع
خاص شخصك الكريم ، كلاكما تمتازان في تذوّق هذه
الملاهي والفكاهات المرحة ، جئت أفاتحكما بالامر وأطلب
منكما النجدة في هذا الموضوع .

هلفارن : يا مولاي ، عليك ان تطلب تمثيل رواية هزلية امام الاميرة.
فيا سيدي تتنايل ، المرغوب ان نحيي حفلة مسلية حسب
تعليماتك ، وبناء على رغبة هذا الوجيه الانيق الشهير
والعالم الظريف المفضال ، ستكون هذه المناسبة أوفى

تكريم للاميرة بحضورنا في آخر النهار • وهكذا تكون التمثيلية افضل ما تشتمل عليه هذه الحفلة •

تتنايل : ولكن اين نجد من يقدم هذه التمثيلية ؟

هلفارن : انت تقوم بدور ، وأنا كذلك بدور ، وهذا الظريف ايضا بدور (يشير الى تروني) وهذا المارد وغلامه يشتركان معهم •

ارمادو (يشير الى فالان) : العفو يا سيدي ، انت مخطىء • ليس للغلام من مؤهلات ليقوم بأي دور • فقامته تكاد تكون بطول الهراوة •

هلفارن : هل لي ان أدلي برأيي ؟ يمكننا ان نكلفه بالقيام بدور على قدر كفاءته الضئيلة ، وأنا مستعد لان أتدبر امره •

فالان : فكرة ممتازة • واذا استهجنني احد الحاضرين ستبادر الى رفع صوتك وترديد كلمة «سلمت يداك» • وهكذا ينقلب التنديد الى تقدير كما يحدث في مثل هذا الموقف •

ارمادو : وكيف تختتم الرواية ؟

هلفارن : سأرتب المسألة في حينها •

فالان : انا أساعدك في ذلك •

ارمادو : اسمح لي بقول كلمة •

هلفارن : كلّي آذان صاغية •

ارمادو : واذا لم تجرِ الامور على ما يرام ، اقوم بتمثيل رواية ايمائية • هل توافق على فكرتي ؟

هلفارن : وأنت ، يا بالور ، لم تنبس ببنت شفة الى الان .
بالور : لاني لا افهم منك ما تقصد ، يا سيدي .
هلفارن : على كل حال ، سنجد لك دورا .
بالور : أود ان ارقص او ان أضرب بالدف لأدع غيري يرقص .
هلفارن : يا لك من رجل شهم ، يا بالور . هيا نرتب الحفلة .
(يخرجون) .

المشهد الثاني

امام خيمة الاميرة

(تدخل الاميرة وكاترين وروزالي وماريا)

الاميرة : يا عزيزاتي ، سنغتني قبل ان نغادر هذا المكان ، لان الهدايا لا تزال تنهمر علينا كالمطر . فالسيدة مثقلة بالماس. انظري الى ما اغدقه عليّ الملك العاشق (تشير الى قلادة من الاحجار الكريمة) .
روزالي : أولم يرسل لك شيئا آخر مع هذا ، يا سيدتي ؟
الاميرة : لا شيء . وبالحري بلى . فقد تلقيت قصيدة عامرة بقوافي الغرام ، مخطوطة على صفحتي الورقة ، وعلى الهوامش ، وممهورة بخاتم كوبيد إله الحب .
روزالي : الحب عمره من بدء الخليقة ، ومع ذلك ، بعد خمسة آلاف

سنة من التاريخ لا يزال الناس يعتبرونه كطفل •

كاترين : أجل ، وله رغم حداثته ، صولة لا يستهان بها •

روزالي : كلاكما لن تصبحا ابدا اصدقاء مخلصين ، لانه خدع أختك •

كاترين : لقد سحق قلبها حسرة وأسى ، حتى كادت تموت كمدا • ولو كانت طائشة نظيرك ومتساهلة ، لتسنى لها ان تصبح جدة قبل ان تقضي نحبها كما هو حالك ، لان اصحاب البال الخالي من الهم فقط يعمرون طويلا •

روزالي : ما هذا الشرح المبهم ، ايتها الفأرة الصغيرة ؟ كيف تنعتينني بالطيش ؟

كاترين : لا بد لخفة الطبع من ان تلازم الجمال الحزين • وهذا امر بديهي لا يحتاج الى اثبات •

روزالي : انا بحاجة الى ايضاح أوفر ، لكي احزر ما بك •

كاترين : اذا بقيت في العتمة لن تري بجلاء ، فابعدي تفكيرك عن الظل •

روزالي : ألاحظ انك تتصرفين على الدوام كأنك في ظلام •

كاترين : انا لست مثلك • فأنت فتاة طائشة علنا •

روزالي : في الحقيقة ، أعتقد اني لا أضاهيك رصانة • ولذا ابدو لك خفيفة التصرف •

كاترين : انت تجهلين خصالي ، فلا يسعك ان تقدري قيمتي •

روزالي : لعمري ، هذه ميزة فريد ، تزيدك شرفا ورفعة •

الاميرة : قولك في محله . فأنت بارعة في تفنيد التعابير . لكنك ، يا روزالي ، تلقيت هدية ثمينة ، فقولي لي من أرسلها اليك ؟

روزالي : ستعرفين ذلك . ولو كنت جذابة نظيرك لحصلت على هدايا توازي هداياك . انظري الى هذا (تشير الى جوهرة) لقد تلقيت أشعارا أشكر بيرون عليها ، وهي رائعة كهذه الجوهرة . فلو كان التقدير بمثابتها لأصبحت أجمل الحسناوات على وجه الارض ، ولأعجب بي الجميع كلوحة زيتية نادرة .

الاميرة : هل صحيح ما تعانين منه ؟

روزالي : بالقول لا بالفعل .

الاميرة : انت حسناء رائعة كالقمر ، وعالية الاخلاق كالقمم الشاهقة .

كاترين : بل ناصعة البياض كالثلج الذي يكلل رؤوس الجبال .

روزالي : حذارِ من المداهنة . انا لا أريد ان اموت ولك عليّ دَين . في الحقيقة ، تورّد وجنتيكِ مائل الى لون الأرجوان .

كاترين : ما أثقل مزاحك ! ارجو قص كل لسان ينطلق بالتهكم والسخرية امامي .

الاميرة (لكاترين) : وأنت ، ماذا أرسل لك دماين الانيق ؟

كاترين : هذا القفاز .

الاميرة : أولا تودين ان يرسل لك رفيقه ؟

كاترين : طبعا ، ويجمل به ان يرسل ايضا ألف بيت من الشعر الغزلي الصادق الرقيق ، يقوم دليلا قاطعا على محاباته ، ويحوك مؤامرة دنيئة على البراءة المصطنعة .

ماريا (تشير الى عقد وورقة) : هذا ما بعث به لنكفيل مع هذه اللآلىء ، والرسالة يبلغ طولها نصف ميل .

الاميرة : هذا رأيي . أوما تمنيت ان يكون العقد أطول ، والرسالة أقصر .

ماريا : نعم . ولاجل الحصول عليها لا بد لي من يدين أطول من يديّ .

الاميرة : يا لنا من فتيات عاقلات نهزأ هكذا بالمحبين .

روزالي : انهم أشد جنونا مما نظن حتى يشتروا سخريتنا بثمن باهظ كهذا . كم أود ان اعذّب بيرون قبل رحيلي ! لو تسنى لي استخدامه لأجبرته على الزحف على ركبتيه والتماس رضاي متوسلا ، وعلى انتظار الساعات وعدّ الدقائق وارهاق فكره الغني بالقوافي العقيمة ، واخضاعه لجميع أهوائي ، وعلى تحقير نفسه وتمجيدي انا بتقبل هزئي وتهكمي . أريد ان أؤثر على مجرى حياته بطريقة عفوية ، فيصبح كاللعبة بين يديّ وأمسي انا قدره الغامض المحتوم .

الاميرة : لا احد يخطىء مثل العاقل الذي يفقد تبصّره . فان استهتاره المتفتّح كالزهرة على الحكمة الخالصة ، له كل سلطان الذكاء وكل خبرة الثقافة ، مع ما لها بفضل

مباذلها من وفرة الادراك والحنكة .

روزالي : ان الشباب المنجرف وراء أشواقه هو أقل اندفاعا وخطورة في فورة حبه النزق .

ماريا : أما جنوح فاقد العقل فليس خطرا كما هو حال العاقل الذي يصيبه مس من الجنون . لانه عندئذ يستخدم كل مواهبه لإذكاء لؤمه بوسائل الكيد والاحتيال .

(يدخل بوايه)

الاميرة : ها هوذا بوايه يعود وبشائر السرور بادية على محياه .

بوايه : لقد اغظتني بضحكك الذي يحاكي طعنة الخنجر . ايـــن جلالة الملك ؟

الاميرة : ما وراءك من الاخبار ، يا بوايه ؟

بوايه (للاميرة) : تأهبي ، يا سيدتي ، تأهبي ، الى الســـــلاح ، انت وآنساتك ، الى السلاح . لقد نظمت حملة لإقلاق راحة تفكيرك . فالحب يتقدم متنكرا ومدججا بالحجج الدامغة كأمضى سلاح . استنهضي همتك وذهنك ، وبادري الى الدفاع عن نفسك او اذعني واغنمي رأســك كالرعديد ، واهربي من هنا .

الاميرة : من يقوى على مقاومة الحب ؟ ومن يستطيع تسخير بلاغته لانقاذنا ؟ ارجوك ، يا صاحب الانذار ، ان تكشف لنا عما في جعبتك . ففي فيء شجرة وارفة الظلال كنت علـــى وشك اغماض عيني برهة ، عندما ازعجتني مفاجأة ، وأنا

مزمع ان آخذ قسطا من الراحة ، ورأيت الملك متجها مع حاشيته الى هذه الواحة الخضراء • فبادرت الى التواري بحذر بين الاشجار حيث سمعت ما ترغبين في الاطـلاع عليه ، مع العلم ان المقبلين آتون فورا الى هنا متنكرين ، ودليلهم غلام بهي الطلعة يعرف جيدا مهمته ، عملا ولهجة، تماما كما لقنّه اياها سادته اذ قالوا له ستتكلم كذا وتفعل كذا • وبالرغم من ذلك آظهروا خشيتهم من ان لا يتصرف كما يجب اثناء حضورك ؛ اذ قال له الملك ستشاهد ملاكا ، انما التزم الهدوء ولا تخف ، بل تحدّث بشجاعة • فأجاب الغلام ان الملاك ليس شيطانا ، ولو كانت هي شيطانا لما خفتُ منها • لدى هذا التصريح ضحك الجميع ووضعوا يدهم على كتف المهرج الجسور وشجعوه بالثناء عليه • ففرك احدهم يديه فرحا وتلوّى وآقسم بأنه لم يسمع في حياته كلاما افضل منه ، وضرب سبّابته على الوسطى هاتفا : سننجز المهمة مهما كلف الامر • وتشامخ ثالث وصاح : كل شيء يجري على ما يرام • وثبّت رابع دولاب هواء على اصبع رجله فسقط الدولاب • وما لبث الجميع ان هووا الى الحضيض من شدة الضحك مقهقهين • فبدا عليهم بجلاء تأثرهم بالموقف الحرج ليكبحوا جماح تهوّرهم ويكفكفوا دمع ألمهم الظاهر للعيان •

الاميرة : كيف يأتون لزيارتنا ؟

بوايه : وهم متنكرون بلباس الروس ، وأنا واثق بأنهم قادمـــون للتفاوض والمغازلة والرقص ، وكل منهم يعلن حبه للصبيّة التي اختارها وعرفها من الهدية التـــي ارسلها اليها ، وتزينت بها .

الاميرة : هل جرى هذا حقا ؟ هؤلاء الظرفاء اذاً لا همّ لهم الا الهرج والمرج . سيداتي ، نحن ايضا سنتنكر جميعنا ، ولن يحظى احد منهم ، بالرغم من رجائه المتكرر ، برؤية وجه امرأة . هيا ، يا روزالي ، ستتحلين بهذه الجوهرة ، فيغازلك الملك كما لو كنت انت صديقته . خذيها ، يا عزيزتي ، وافسحي المجال لكي يتاح لبيرون ان يظنني روزالي . (لكاتريـن وماريا) تبادلا هداياكما مثلنا لكي يتنهد عاشقاكما قهرا .

روزالي : تعالي نرتب الهدايا ونضعها في مكان بارز .

كاترين : ولكن ، ما الغاية من هذا التبادل ؟

الاميرة : أريد ان أعرقل خطة الملك وجماعته ، لانهم لا يتصرفون الا اعتباطا ، ويبوحون بأخفى اسرارهم جزافا . ونحن نهـزأ بهم حالما نقابلهم ونكلمهم بوجه مكشوف .

روزالي : أولا نراقصهم اذا دعونا الى ذلك ؟

الاميرة : كلا . انا أفضل ان اموت على ان أحيد قيد أنملة عـــن خطتي . ولن نشكرهم على خطابهم ولو كتب بأحلـــى الخطوط . وبينما هم يحادثوننا سندير لهم ظهورنا .

بوايه : سيجرح هذا الاحتقار كبرياء كل متحدث ، وحالا تنفصـل

مهمته عن دوره .

ة : هذا ما أبغيه تماما . وأنا واثقة بأن كلا منهم حالما يصل ، سينسى ما يتوجب عليه. وما احلى ان ينوء الساخرون تحت وقر هزيمتهم، وأن ينسبوا الينا اخفاقهم وهم يدّعون ادخال السرور الى قلوبنا . فهكذا! نظفر بالنيل ممن يستهدفون الهزء بنا . لكن ، حينما تتهكم عليهم سيولون الادبار مع خيبة أملهم . (يسمع صوت بوق) .

: ها هوذا صوت البوق . فخبّئن وجوهكن خلف الاقنعة .

(يدخل الملك وبيرون ولنكفيل ودماين بلباس الروس ، وهم مقنعون . ثم يتبعهم فالان والموسيقيون والخدم)

(يحيي الاميرة ونساءها) : تحياتي لأحلى جميلات الارض طرّا .

(على حدة) : رائعات بمستوى الاقنعة الحريرية الناعمة .

: ما اجمل هذا الجمع المقدس من السيدات الفاتنات .

(جميعهن يدرن له ظهرهن)

من منا يود أن يدير ظهره الى الحسان ؟

(يعيد الكرة) : إتقِ العيون ، يا مغفل : اتق سحر العيون .

: أكرر سؤالي : من منا يود ان يدير ظهره الى الحسان ؟ أيتها ...

: والله ، لم اعد اطيق المزيد .

: ايتها الارواح السماوية ، ساعديني كي لا انظر الى ...

: كي لا تنظر الى ماذا ، يا أغبى الاغبياء ؟

فالان : كي لا انظر الى عينيها العميقتين كالبحر •

بوايه : لن تلقى جوابا على هذا التشبيه البعيد عن الواقع • الأولى بك ان تنتبه الى عينيك الساحرتين كألحاظ البنات الجذابات •

فالان (لبيرون) : اني ارى تغاضيها عني ، وهذا ما يضايقني جدا •

بيرون : هل انت معصوم عن الخطأ • هيا أغرب من وجهي ، ايها الدجال (ينسحب فالان) •

روزالي : ماذا يريد منا هؤلاء الغرباء ؟ انا اعرف نياتهم ، يا بوايه • ان كانوا يتكلمون لغتنا ، فمشيئتنا هي ان يعرض علينا كل منهم مشروعه بكل بساطة • المهم ان نعرف مرادهم •

بوايه (يذهب الى بيرون) : ماذا تبغي من الاميرة ؟

بيرون : انا لا أبغي سوى الامان ومقابلة ودية تتكرم بها عليّ •

روزالي : اذا كان مرامك ، فأوعز الى هؤلاء ان ينسحبوا •

بوايه (يعود الى بيرون) : هي تقول : انكم حاصلون على ما ترغبون ، ويمكنكم ان تنصرفوا •

الملك : أبلغها اني اجتزت أميالا عديدة لأرقص معها على الوحدة ، فوق هذا المرج الاخضر •

بوايه (يعود الى قرب روزالي) : يصرح بأنه قطع أميالا عديدة ليرقص على الوحدة فوق هذا المرج •

روزالي : هذا لا يتم بسهولة • اسألهم كم من البوصات يتضمن الميل • فاذا مشوا مسافة طويلة ، فباستطاعتهم ان يحددوا

لي طول الميل الواحد •

بوايه (يدير وجهه الى المتنكرين) : اذا كنتم ، للوصول الى هنا ، قـــد اجتزتم أميالا عديدة فان الاميرة ترجوكم ان تفيدوها كم من البوصات تحتوي هذه الاميال •

بيرون : اجبها بأننا مشيناها بخطوات أليمة •

بوايه : هي تنتظر ردكم الدقيق •

روزالي : كم من الخطوات العسيرة عددتم اثناء اجتيازكم كل هذه الاميال المضنية ؟

بيرون : نحن لا نحسب ما تتحمله لأجلكن • أن اخلاصنا غني عــن التعريف ونشاطنا غير محدود ، بحيث نستطيع ان نواصل عدّنا بدون حساب الى ما شاء الله • فتنازلن وأريننــــا الشمس الساطعة على محياكن كي نعبدها نظير الاقدمين البدائيين •

روزالي : ان وجهي كقمر لا يزال محتجبا وراء الغمام •

الملك : سيدتي ، ان كان الغمام يخفيك عني فتنازلي ، كالهــــلال المتلألىء مع ما حوله من كواكب ، وازيلي هذه السحابــة لتسطعي امام عيوني المغرورقة بالدموع •

روزالي : ايها المطالب المتمادي ، إلتمس ما هو أجدى مما تشير اليه، لان ما تسأله هو انعكاس البدر على صفحة الماء •

الملك : لاجل التبديل ، امنحيني اذاً فرصة الرقص معك • لقــــد اقترحتِ ان اسأل ، وها هو سؤالي ليس بغريب •

روزالي : هيا اعزفوا ، ايها الموسيقيون • (تصدح الموسيقى) اسرعوا، وإلا توقف الرقص • فكما ترى ، انا أتغير كالقمر •

الملك : انت لا ترغبين في الرقص • فمن اين لك هذه الحماسة ؟

روزالي : لقد حاكيت البدر في أكمل لياليه ، لكنه الان قد تبدل •

الملك : انت لا تشبهين القمر اكثر من سواك • وأنا لا أملك رهجة البدر • الموسيقى تعزف ، فبالله عليكِ دعيني أستمتع بأنغامها الساحرة •

روزالي : ها هي تشنف آذاننا •

الملك : يتحتم على أرجلنا ان تتبع ايقاعها •

روزالي : بما انكم غرباء ، وأنتم آتون الى هنا صدفة ، فاننا لا ننوي ان نعزز انفسنا • هيا أمسكوا بأيدينا ، مع اننا لا نود الرقص •

الملك : لماذا اذاً نمسك بأيديكن ؟

روزالي : بكل بساطة لكي لا نفترق ونحن اصدقاء • لذلك لا يلزمنا سوى الانحناء باحترام ، واختتام جولة الرقص هكذا • (تحيِّي) •

الملك : حددي لي نبرة الايقاع بشكل أدق ، ولا تكوني مبهمة التعبير •

روزالي : لا يسعني ان اعطي مزيدا من الايضاح •

الملك : قدّري انت نفسك ثمن صحبتك •

روزالي : ثمنها غيابك فقط •

الملك : انت تطلبين المستحيل .

روزالي : لانني لست معروضة للبيع . وهكذا اقول الوداع مرتين لقناعك ، ولك شخصيا نصف مرة .

الملك : اذا رفضتِ مرافقتي ، واصلي على الاقل محادثتي .

روزالي : في جلسة خاصة اذاً .

الملك : هذا يضاعف سروري (يبتعدان وهما يتحادثان) .

بيرون (للاميرة) : يا مولاتي ذات الحسن الفاتن ، انا لا اجد البهجـــة والارتياح الا بجوارك .

الاميرة : أهذا عسل مصفّى ، ام شراب محلّى بالسكر ؟

بيرون : دعينا نضاعف المتعة الثلاثية . بما انك بتّ هكذا نهمة في أكل الحلويات وتناول المشروبات اللذيذة ، هذه دفعة على الحساب ، بينها ستة ألوان من الحلوى .

الاميرة : وسابعها هو الوداع .

بيرون : تكرّمي اذاً عليّ بكلمة واحدة ولو سرا .

الاميرة : بشرط ان لا تكون في موضوع الحلوى .

بيرون : انك تزيدين مرارتي .

الاميرة : المرارة هي حقا طعم الحنظل .

بيرون : اذا كانت في محلها . (يبتعدان وهما يتحادثان) .

دماين (لماريا): هلا تنازلتِ الى مبادلتي كلمة وجيزة ؟

ماريا : في أي موضوع ؟

دماين : سيدتي الجميلة !

ماريا : هل هذا كل ما تريد ان تقوله ، يا سيدي الكريم ؟ ارجوك ان تبلغه مولاتك الرائعة .

دماين : من فضلك ، كلمة اخرى . ارجوك ان تصغي اليّ . ثم أودعك . (يبتعدان وهما يتحادثان) .

كاترين (للنكفيل) : ماذا تقصد ؟ أوليس لك لسان ، ايها المقنّع الظريف؟

لنكفيل : انت تعرفين غايتي ، يا سيدتي . فلماذا تمعنين في طلب المزيد .

كاترين : ارجوك ، يا سيدي ، ان تبين لي غايتك حالا ، لاني اكاد اذوب شوقا الى ادراكها .

لنكفيل : ان براعة لسانك لا تضاهي ما لديك من حيلة الثعلب الجائع ، وتريدين ان تتنازلي عن نصف ميزاتك لهذا المقنّع الاخرس .

كاترين : هذا استنتاج ممتاز ، وأنا أهنئك على اكتشافك الرائع .

لنكفيل : انا لا أتجاهل مقدرتي ، ولكني لا أتغافل ايضا عن مكرك .

كاترين : ليس ما يمنعك عن اللجوء الى الاحتيال انت ايضا ، فتفوقينني فيها براعة .

لنكفيل : ان سخريتك اللاذعة سترتد عليك . هل ترومين يا سيدتي العفيفة ان تجعليني من ذوي القرون ؟

كاترين : لن يفيدك دهاؤك في هذه الحالة ، لانك ستموت قبل ان تنبت لك قرون بسببي .

لنكفيل : اصغي اليّ اذاً لأسمعك كلمة لطيفة قبل ان أرحل عن هذه

الدنيا .

كاترين : لا ترفع صوتك لئلا يسمعك احد (يبتعدان وهما يتحادثان).

بوايه : ان لسان الفتيات المتهكمات أحدّ من موسى الحلاقة الذي يشطر الشعرة ، ونحن نكاد نراها بالعين المجردة . وهذا اللسان الخالي من كل ذوق سليم يتمادى في الكلام جزافا، ويندفع في الحديث حتى يسابق السهام والرياح والافكار التي لا تضاهى سرعتها .

روزالي : لا تزد لفظة واحدة . ولنقف عند هذا الحد . (تفترق جميع السيدات عن رفاقهن) .

بيرون : اراك تطردينني بطريقة جافة للغاية .

الملك : الوداع ، ايتها الآنسات المغامرات . ما أسخف تفكيركن . (يخرج الملك والوجهاء وفالان والموسيقيون وكل رجال الحاشية) .

الاميرة : الوداع الف مرة ، يا اهالي الشمال الذين ترتجفون من البرد بالرغم من تعودكم عليه . ها قد انفرط عقدكم وتبددت كياستكم أدراج الرياح .

بوايه : انهم الان أشبه بالمشاعل وقد اطفأها نفَسك اللطيف العنيف.

روزالي : لقد انتفخت أوداجهم من كثرة ازدراء المآكل حتى اخذ دهنهم يسيل عرقا .

الاميرة : عقول فقيرة وواجهة ملكية هزيلة . هل تعتقدين انهم يجرؤون على الظهور امامنا ثانية الا خلف أقنعتهم الساترة،

ولاسيما بيرون المرتبك الذي طاش صوابه ؟

روزالي : جميعهم مضوا وهم في حالة يرثى لها • وكادت دموع الملك تنهمر وهو يلتمس كلمة حلوة •

الاميرة : اما بيرون الذي فقد كل امل ، فراح يتسكع يمينا ويسارا•

ماريا : ودماين البارع في امتشاق الحسام ، إلتمس مني قبوله في خدمتي • فما كان مني الا ان بادرته بالرفـــض القاطع ، وتركته ذليلا فاغر الفم مشدوها •

كاترين : صرح لي مولاي لنكفيل بأن ذكري ثقيل على صــــدره كالكابوس • فهل تعلمون كيف سماني ؟

الاميرة : ربما حية •

كاترين : بالضبط •

الاميرة : ابتعدي عني اذاً لئلا تلحقي بي الاذى •

روزالي : سنجد عقلية افضل في شخص آخر أقل طيشا • اعلمي ان الملك يغازلني علنا •

الاميرة : بيرون المتهافت ، أقسم لي بأن يظل امينا على عهدي •

كاترين : ولنكفيل وقف حياته على خدمتي •

ماريا : ودماين يتمسك بصداقتي كما تلتصق القشرة بجزع الشجرة•

بوايه : وأنت ، ايتها السيدة الجميلة مع آنساتك ، أصغين اليّ • سيعود اصحابنا الى هنا بعد فترة بهندامهم العادي • اذ من المستحيل ان يبتلعوا ويهضموا مثل هـــذا التصرف السمج •

الاميرة : أجل ، سيعودون ، والله أعلم، وهم يرقصون مذبوحين من شدة الالم ، بعد ان هشمتهم ضرباتكـــن المحكمة •
فلتسترجع كل واحدة هديتها ، وعند ظهورهـــم ثانية ،
فلتبتسم كالوردة التي تنفتح أكمامها لدى تلقيها قطرات الندى عند اقتراب الصيف •

روزالي : أنحن نبتسم كالزهور ؟ تفضل واشرح لنا كيف •

بوايه : ان السيدات المقنّعات كبراعم الورد ، متى خلعن قناعهـن تبدو حينئذ ألوانهن الرائعة باهتة ، ويظهرن كالقمر الذي تغشيه الغيوم او كالازهار وقد افقدها الحر نضارتها •

الاميرة : ابعدوا عنكم هذه الفكرة الساذجة : ماذا نصنع اذا عادوا يتمايلون في هندامهم الطبيعي ؟

روزالي : سيدتي الكريمة ، اليك ما أرتأيه : سنهزأ بهم وجها لوجه كما سخرنا منهم من وراء القناع ، وسنشكو لهم تبرّمنا بهم كمجاذيب قادمين الينا متنكرين بألبســـة مختلفة •
وسنسألهم ماذا كانوا ينوون عمله ، ولأية غاية عرضـوا علينا ، في خيامنا ، مشاريعهم الحقيرة وأحاديثهم السخيفة ومناظرهم المقذعة وتصرفاتهم الفظّة •

بوايه : انسحبن ايتها السيدات ، فان ظرفاءنا قد اقتربوا •

الاميرة : لنسرع الى خيامنا ، كما تهرب الغزلان عبر السهول (تخرج الاميرة ومعها روزالي وكاترين وماريا) •

(يدخل الملك وبيرون ولنكفيل ودماين بألبستهم العادية)

الملك (لبوايه) : حفظك الله ، ايها المولى الجليل • اين الاميرة ؟

بوايه : عادت الى خيمتها • هل تريد جلالتك ان تكلفني بأية مهمة ؟

الملك : ان تطلب منها التكرم عليّ بمقابلة قصيرة •

بوايه : انا رهن اشارتك نظيرها تماما • وأنا واثق بأنها ستقبل حتما يا مولاي • (يخرج) •

بيرون : هذا الرجل ينقد الحَب بسرعة كالحمام ويهضمه على مهل فيما بعد • هو صاحب نكتة ، ويعرض بضاعته في السهرات والحفلات والاجتماعات والاسواق والمزادات • ونحن الذين نبيعها بالجملة ، يعلم المولى ، لا يسعنا ان نرد له ما يسديه الينا من معروف • انه ظريف ، ومن البديهي ان يغازل الصبايا الجميلات • ولو كان محل آدم لخدع حواء قبل ان تغريه • على كل حال ، هو يتقن الغنج والدلال ، ويبرع في تقبيل الايدي بلباقة ، دلالة على طول باعه في حقل المداعبات • وهو حاذق في لعب النرد يتحكم بالزهر فيصول ويجول ويفوز بأرباح مدهشة • وهو يجيد الانشاد بصوت جهوري متناسق كأنه في حقل الطرب سيد لا يشق له غبار • فيجتذب السيدات كأنه رب السحر الحلال ، وتنساق العاشقات وراءه ويقبّلن موطىء قدميه• اما هي فكالزهرة تأسر الولهان المتيم حالما يفترّ ثغرها عن اسنانها البيضاء كاللؤلؤ المنضود ، ويشرق محياها على المستميت في هواها وقد منحته لقب بوايه ذي اللسان

المعسول •

الملك : بئس هذا الحديث الحلو الذي اخرج غلام ارمادو عن صبره•

(تدخل الاميرة ، يتقدمها بوايه ثم روزالي وماريا وكاترين وحاشيتهما)

بيرون : ها هم آتون (ينظر الى بوايه) يا لموقفك النبيل ! اين كنت قبل ان يشيد بك هذا الرجل ؟ وماذا انت الان فاعل؟

الملك (للاميرة) : نهارك سعيد ، يا سيدتي • وأتمنى ان يكون كذلك للجميع •

الاميرة : فيمسي هذا النهار عندي اجمل ايام حياتي ، ان شاء الله•

الملك : فسّري كلامي كما تشائين •

الاميرة : انا لا ارى مانعا من ان تعلن امانيك بأفضل الاساليب •

الملك : جئت أزورك ، وقصدي ان أصطحبك الى بلاطي • فتفضلي بمرافقتي •

الاميرة : سألازم انا هذ المخيم • فالتزم انت تنفيذ وعدك • لاني ، يشهد الله ، لا أقدّر الا الرجال الذين يرتبطون بكلامهم•

الملك : لا تلوميني على ما انت ذاتك حرضتني عليه، ما دامت نظراتك هي التي حملتني على نقض عهدي •

الاميرة : انك تخلع عليّ ثوب الفضيلة بغير حق ، بينما يتحتم عليك ان تتهمني بالرذيلة • لان دور الفضيلة ليس حمل الرجال على نكث عهودهم • أقسم لك بشرفي كعذراء نقية ، تحاكي الزنبق بطهارتها ، بأني آليت على نفسي ، مهما ذقت من مر العذاب ، ان ارفض مخاصصتك تحت سقف بيتك

بقدر ما أكره التكلم عن نقض وعدك الذي اعلنته بنيّة حسنة امام الجميع .

الملك : لقد عشتِ هنا كأنك في صحراء ، غير مكرمة بل مهملة الى حد الازعاج .

الاميرة : كلا ، يا مولاي . أؤكد لك ان ذلك مخالف للواقع . فقد لقيت كل اسباب التسلية والبهجة قبل ان تغادر الفرقة الروسية هذا المكان منذ هنيهة .

الملك : ماذا تقولين ، يا سيدتي ؟ فرقة روسية ؟

الاميرة : نعم ، يا سيدي . في الحقيقة ، أفرادها الكرام كلهم لباقة ومهارة .

روزالي : تكلمي بصراحة ، يا سيدتي . فليس صحيحا ما تقدم ذكره. يا مولاي . ان سيدتي كما يجري في هذه الايام ، تخلع عليهم ، من قبيل اللياقة ، ثناء لا يستحقونه . نحن الاربعة، في الواقع ، واجهنا اربعة اشخاص بملابس الروس . وقد مكثوا هنا ساعة من الزمن بدون ان ينقطعوا عن الحديث. وفي هذه الاثناء لم يوجهوا الينا كلمة مناسبة ، يا مولاي . انا لا أجسر على نعتهم بما لا يستحقون ؛ غير اني أعتقد بأن الانسان العطشان ، يظن ان الناس مثله يتوقون الى الارتواء .

بيرون : هذا كلام غير واقعي ، ايتها الحسناء الفاتنة . ففكاهاتك الناعمة تحوّل الرصين الى مهووس . ونحن ، اذ نحدق

بأعيننا المبهورة في وهج شمسك المتألقة ، يرتد بصرنـا كليلا ، بسبب ما يغمرنا من فيض النور • هكذا تكـون مقدرتك من الفئة التي اذا أشرق عليها ضياء حسنك المثالي يمسي العقلاء ازاءها مجانين والاغنياء فقراء •

روزالي : وهذا برهان ساطع على انك ثري وعاقل • بينما انت في نظري •••

بيرون : مخبول مسكين •

روزالي : ان لم تتراجع عما يعنيك ، فانك تخطىء عندما تنتـزع النطق هكذا من فمي •

بيرون : انا لك بكل ما يخصني •

روزالي : ها قد اصبحت غنية أملك العالم بأسره •

بيرون : لا يسعني ان احسبك أقل من هذا •

روزالي : خلف اي قناع كنت تختبىء ؟

بيرون : اين ؟ ومتى ؟ وأي قناع تعنين ؟ ثم لماذا تطرحين علـيّ هذا السؤال ؟

روزالي : انت تعرف جيدا ان هذا القناع الذي يخفي معالمك لا لزوم له ؛ وهو يستر أقبح وجه ليبرزه بأجمل صورة •

الملك : لقد اضحينا معروفين ، وهن يهزأن منا بسماجة •

دماين : دعونا نعترف بأخطائنا ونحوّل الاساءة الى مزاح •

الاميرة (للملك): يبدو عليك بعض الوجوم، يا مولاي• فلماذا انت مرتبك هكذا يا صاحب الجلالة ؟

روزالي : النجدة ! ارجوك ان تسعفه • انه على وشك الاغماء • لماذا شحب لونك هكذا ؟ أهو دوار البحر ؟ أظن ، عندما يأتي احد من روسيا •••

بيرون : حين تقصف السماء جحودنا بصواعقها ، أي رأس مهما كان صلبا يمكنه ان يصمد ؟ ها اناذا بين يديك ، يا سيدتي ، فصبي جام غضبك عليّ وهشميني بسخريتك ، وارهقيني بمضايقاتك ، ومرغي جهلي بتراب استخفافك ، حطميني بمطرقة احتقارك • فلن أغامر بعد الان بدعوتك الى الرقص ، او بالمجيء اليك بلباس روسي • لن اثق بالخطب المكتوبة ولا بحماسة لغة الطلاب ، ولن اظهر بعد الان بقناع صديقتي ، ولن أنظم قوافي الحب كأغاني الاعمى التائه • هي عبارات منمقة ، وألفاظ مهذبة مختارة . وعواطف رقيقة ووجوه متفلسفة • كل هذه الحشرات الضارة التي عقصتني قد آلمتني بنورها الخبيثة • فأنا اكرهها الى الابد ، وأحلف بهذا القفاز الابيض ؛ والله يعلم كم هو أنصع بياضا من اليد التي تلبسه ، اني من الان وصاعدا لن أعبر عن شعوري ؛ وأكشف عن مكنونات صدري بغير جواب صادق او نزيه • ومنذ هذا الحين ، أسأل ربي ان يعينني عليك اينها الفتاة البارعة •

روزالي : ارجوك ان لا توجه اليّ هذه العبارات المؤثرة •

بيرون : انا لا ازال أحتفظ بشيء من هذياني القديم • اعذريني لانني

مريض وسأتخلص من الحمى على مراحل ، فصبرا اذأ .
(يشير الى الملك ودماين ولنكفيل) ضعي بين هـــؤلاء الثلاثة ، هذه اللوحة المكتوب عليها : «ارحمهم ايهـــا السيد» لان قلوبهم ملوثة بالضغينة ، وأجسادهم مبتـــلاة بالطاعون الذي انتقل اليهم بالعدوى من عيونك الشريرة. هؤلاء السادة مصابون بالوباء ، وأنت لست سليمة اكثـــر منهم ، يا سيدتي . وفوق ذلك ، لا ارى على أي منهـــم علامة فارقة .

الاميرة (تشير الى الجوهرة التي تحملها) : ان من ارسلوا اليّ هـــذه التحفة هم احرار .

بيرون : انا غير متمسك بها . فلا تسعي الى تدمير حياتي .

روزالي : ابدا . كيف يتيسر لك ان تقلع عن امر وأنت تلح فـــي الحصول عليه .

بيرون : مهلا . انا لا اريد الاصطدام بك .

روزالي : ولا انا بشخصك ، ان امكنني التصرف كما اشاء .

بيرون : تكلمي ، يا سيدتي ، عن نفسك . فانني لم اعد قادرا على احتمال المزيد .

الملك (للاميرة) : مع انك اهنتني ، ارجوك يا سيدتي ، ن تشمليـــني بحلمك وعفوك .

الاميرة : ان أجدى اعتذار هو الاقرار . أولم تكن هنا متنكرا منذ برهة فقط ؟

الملك : أجل يا سيدتي •

الاميرة : أولم تكن غائصا في التفكير ؟

الملك : نعم ، ايتها السيدة الجميلة •

الاميرة : وعندما كنت هنا ، بماذا كنت تهمس في أذن سيدتك ؟

الملك : اني أقدّرها وأفضلها على كل نساء الكون •

الاميرة : وحين تود ان تتقيد بتصريحك حرفيا ، بماذا تتعهد ؟

الملك : بشرفي •

الاميرة : مهلا ، مهلا • بعد قسَمك الذي حنثت به ، ألم تعد تشمئز من تجميد تعهدك ؟

الملك : احتقريني اذا تنكرت لقسَمي •

الاميرة : سأحتقرك حتما للسبب التالي : يا روزالـي ، بماذا همس الروسي في أذنك ؟

روزالي : لقد أقسم لي ، يا سيدتي ، بأني أعز عليه من حدقة عينه التي يحرص عليها كأغلى ما في الوجود ، وقد اضاف قائلا لي انه سيتزوجني او يموت كمدا ، وفاء لتعلقه بي •

الملك : ماذا تعنين بذلك ، يا سيدتي ؟ والله ، انا لم ادلِ في حياتي لهذه السيدة بأي تصريح من هذا النوع •

روزالي : أؤكد لك بأنك صرحت لي بذلك • وكعربون ، اعطيتني هذه الجوهرة • فأرجوك ان تستردها يا مولاي •

الملك : لقد اهديتها للاميرة مع اخلص تمنياتي ، وقد عرفتها من هذه اللؤلؤة النادرة التي تزين جيدها •

الاميرة : العفو ، يا صاحب الجلالة . ان روزالي هي التـي كانت متحلية بها . فبالنسبة الي ، يكون السيد بيرون حبيبي ، وسأظل وفية له (لبيرون) والآن هل تريد الاحتفاظ بحبي ام تريد استرداد لؤلؤتك ؟

بيرون : لا هذا ، ولا ذاك . انا لا اطالب بك ولا بها ، لاني لاحظت اللعبة ، وأدركت التصرف الفظ . انا اعرف سلفا مـا يسليني وما أعتبره مهزلة المهازل . هناك بعـض الرواة المبالغين ، والثرثارين السمجين ، ملفقي الاخبار ، وفرسان الملاعق والصحون . والمنافقين الذين يشيخون ولا يزالون يتبجحون ، ويعرفون كيف يُضحكون سيدتي عندما تكون على استعداد لتقبّل هرجهم ، فتنبأوا سلفا بمشروعنا . وحين انكشف امرهم ، كانت هؤلاء السيدات قد تبادلن الهدايا ، ونحن قد خدعنا الشبيه المنتحل صفة الاصيل ، فغازلت انا شبيهة سيدتي المفضلة . وهكذا تفاقمت قباحة غلطتنا وافتضح امر جحودنا بصورة مزدوجة ، مرة عفواً ومرة خطأ . هذا بالاختصار كل ما جـرى . (لبوايه) : أولست قادرا على افساد خطتي فلا اصبح منبوذا ؟ أولست انت الذي قست طول أقدام سيدتي ، ومزحت مداعبـا متماديا ، حتى اخجلت الغلام . وقد سمحت لنفسك جميع التجاوزات . ستموت هلعا وسيكون كفنك غطاء مائـدة الوليمة . يبدو عليك انك تنظر الي بطرف عينك . وهذه

الشذرة تجرح قلبي كخنجر حاد •

بوايه : ما أشد سروره بتأمين هذه المهمة الحافلة بالمصاعب •

بيرون : هو على وشك ان ينقلب له ظهر المجنّ • مهلا ، لقد انجزت عملي •

(يدخل تروني)

• اهلا بك ، يا شيخ الظرفاء • انت تثني الناس عن افظع المشاحنات •

تروني : يا مولاي ، ويا سادتي • هل من الممكن ان نعلم ان كنت مصمما على حضور تمثيلية الشجعان الثلاثة ام لا ؟

بيرون : ماذا تقول ؟ أليسوا سوى ثلاثة ؟

تروني : أجل يا سيدي • لكن الحفلة جريئة وشيقة ، لان كل واحد يمثل ثلاثة اشخاص •

بيرون : ثلاث مرات ثلاثة تساوي تسعة •

تروني : ما عدا السهو والغلط ، يا سيدي • ارجو ان لا يصح هذا الحساب مطلقا • أؤكد لك انني لست غبيا • انا اعرف جيدا ما اعرف • وأرجو ان تكون ثلاث مرات ثلاثة •••

بيرون : تساوي تسعة •

تروني : ما عدا السهو والغلط ، يا سيدي ، انا اعرف كم تساوي •

بيرون : والله ، لقد اعتقدت دائما بأن ثلاث مرات ثلاثة تساوي تسعة •

تروني : ما هذه الفضيحة ، يا مولاي ؟ لو كنت مضطرا الى كسب

معيشتك من المحاسبة ...

بيرون : فكم تساوي اذاً ؟

تروني : يا سيدي، الحساب لا يتغير، والممثلون يعرفون كم تساوي. من طرفي ، كما يقال ، انا لا أساوي سوى رجل واحـــد مسكين ، أعني به بومبيوس الكبير .

بيرون : وهل انت احد الشجعان ؟

تروني : هكذا! قدّروا اني أستحق دور بومبيوس الكبير . وأنا لا أتحلى بصفات هذا الشجاع ، انما سأقوم بدوره ، بقدر المستطاع .

بيرون : اذهب وقل لجماعتك ان يستعدوا .

تروني : سنبذل اقصى جهدنا لنضفي على الرواية رونقا جذابا ، يا سيدي . (يخرج تروني) .

الملك : سيلحقون بنا العار ، يا بيرون . فلا تدعهم يقتربون من هنا .

بيرون : نحن بعيدون كل البعد عن التلبّس بأي خزي ، يا مولاي . ومن باب الكياسة ، علينا ان نقدم لهؤلاء السيدات عرضا أقل شأنا من الذي يقدمه الملك ورجاله .

الملك : انا أؤكد لك انهم لن يأتوا .

الاميرة : يا مولاي الكريم ، طاوعني في هذا الموضوع . فالتسلية التي ترضي اكثر من سواها هي التي تعجب بدون سابق استعداد . وعندما لا يدّخر جهد لمراضاتنا ويحـــاول الساعون لإحياء الحفلة استهواء المترددين منا ، فان أشكال

الفوضى تتجسم في مظاهر الغرور حين تحبط معظم المساعي
الكبيرة المبذولة لنجاح العمل •

بيرون : هذا بالذات ما تتصف به حفلتنا ، يا مولاي •

(يدخل المراوغ ارمادو)

ارمادو : هل يمكنني ان أعتمد على حلم مولاي لكي ألتمس منه السماح بابداء رأيي في هذا الموضوع؟ (أرمادو يسلم الملك ورقة ويحادثه على حدة) •

الاميرة (تشير الى ارمادو) : هل هذا الرجل من اهل الخير ؟

بيرون : لماذا تطرحين سؤالك ؟

الاميرة : لانه لا يتكلم كرجل حائز على رضى ربه •

ارمادو (بصوت عالٍ للملك) : لا يهمني ذلك ، ايها الملك المعظم • لكنني أحتج على كون معلم المدرسة كثير التهويل ؛ وهذا منتهى الغباوة • غير اني أستدرك الامر ، كما يقال ، ان امكن ، وأتصرف حسب ما تسمح به الظروف • أتمنى لكِ راحة البال يا صاحبة السمو • (ارمادو يخرج وهو يحيِّي) •

الملك : سنرى بدون شك استعراضا جميلا لبطولات الشجعان • فان تروني يمثل دور هكتور طروادة والفلاح وبومبايوس الكبير معا • ثم نتنايل يمثل دور الاسكندر ؛ وفالان غلام ارمادو دور هرقل ، وهلفارن دور يهوذا المكابي • واذا نجح هؤلاء الشجعان الاربعة في ادوارهم الاولى ، سيستبدلون جميعهم ملابسهم ويمثلون الشجعان الخمسة

الباقين احسن تمثيل ، كما أتمنى •

بيرون : سيكونون خمسة في القسم الاول •

الملك : انت مخطىء •

بيرون : اذا صح ظني ، فالادوار يقوم بها عالم وجبان وصديق وغبي وغلام • ومهما كنت بارعا في القاء زهر لعب الطاولة ، لن يجتمع في الكون برمته ، سوى خمسة اشخاص مناسبين على هذه الصورة الفريدة •

الملك : المركب منشور الشراع ، وها هوذا يقترب على مهل •

(يؤتى بمقاعد للملك والاميرة والحاشية من سادة وسيدات فيجلس الجميع)

تمثيلية الشجعان التسعة

(يدخل تروني مسلما ، وهو يمثل دور بمبايوس)

تروني (بأبّهة) : انا بمبايوس •

بوايه : انت كاذب ، ولست بمبايوس •

تروني (يكرر) : انا بمبايوس •

بوايه : برأس فهد جاثم •

بيرون : قول جميل ، ايها الساخر العجوز • يجب عليّ ان أصالحك •

تروني : انا بمبايوس الملقب بالبدين •

دماين : بل الكبير •

تروني : الكبير ، هذا أصح ، يا سيدي • (يكرر) بمبايوس الملقب

بالكبير ، الذي كثيرا ما جعل العدو يرتعد منه هلعا في السهل • لقد سافرت على طول الشاطىء حتى وصلت الى هنا صدفة لأرمي سلاحي عند قدمي هذه الفرنسية الحلوة•

(يوجه كلامه للاميرة)

اذا سمحتِ ، يا صاحبة السمو • شكرا ، يا بمبايوس ، فأنا قد انتهيت •

الاميرة : شكرا جزيلا ، يا بمبايوس الكبير •

تروني : انا لا أستحق كل هذا التعظيم • غير اني اشكر الله على ما وهبني اياه من امكانية ، قبل ان أرتكب هفوتي في كلمة «كبير» •

بيرون : أراهن بقبعتي مقابل فلس واحد بأن بمبايوس سيكون خير الشجعان •

(يدخل نتنايل مسلما وهو يمثل الاسكندر)

نتنايل : عندما كنت أحيا بين الناس ، كنت سيد العالم ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، حيث كنت أنشر قواتي الغازية ، وشعاري يشير بوضوح الى اني انا الاسكندر •

بوايه : أمّا انفك فيصرخ : كلا ، انت لست هو ، نظرا الى استقامته•

بيرون (لبوايه) : وأنفك يدل على انك لست هو ، ايها الفارس صاحب الحس المرهف •

الاميرة : ما لي ارى الفاتح يرتعد ؟ عليك ان تتابع كلامك ايها الاسكندر الفذ •

تتنايل (يكرر) : عندما كنت أحيا بين الناس كنت سيد العالم •
بوايه : هذا ، لعمري ، صحيح • كنتَ الاسكندر •
بيرون (يشير الى تروني) : يا بمبايوس الكبير •
تروني (منحنيا) : ها انذا في خدمتك ، يا تروني •
بيرون : خذوا عني هذا الفاتح ، خذوا الاسكندر •
تروني (لتتنايل) : يا مولاي ، لقد سببت سقوط الفاتح • وقصاصا لك ستنتزع عنك البذة العسكرية • وزعيمك ، مهما تمسك جيدا بسلاحه ، وهو جالس على كرسي مخلع ، لن يستأثر بالبطولة • ما اسخف الغازي الذي يخشى ان يتكلم • فمن قبيل الحياء ، عليك ان تتوارى عن العيان، ايها الاسكندر• (ينسحب تتنايل) • ها هو الأبله المتواضع ، بل الرجـــل السريع الهزيمة الذي لا يمتاز الا بلعب الكرة • اما فـــي دور الاسكندر ، فيا للاسف ، انتم ترون معي حتما ان شخصيته أوضع قليلا من دوره • ومن حسن حظه ، ها قد أقبل سواه من الشجعان الذين سيعبرون عن افكارهـــم بأسلوب آخر •
الاميرة : قف في الصف ، يا بمبايوس الكريم • (ينسحب تروني) •
(يدخل هلفارن مسلما وهو يمثل يهوذا • وفالان مسلما ايضا وهو يمثل هرقل)
هلفارن : هل هذا الجبان يمثل هرقل المتغطرس الجبار الذي قتـــل بهراوته الثعبان المثلث الرؤوس ، والذي لم يكن سوى

طفل رضيع ثم لعوب ، يخنق هكذا الحيات بيديه ، وهو
يبدو هنا ايام حداثته ، بينما انا صاحب هــذه الفكرة •
(لفالان) تظاهر ببعض الأبهة والجبروت اثناء خروجـــك
ثم احتجب عن الانظار (يخرج فالان) • انا يهوذا •

دماين : أي يهوذا ؟
هلفارن : ليس الاسخريوطي ، يا سادتي • فأنا يهوذا الملقب بالمكابي•
دماين : يهوذا النمّام ما هو الا يهوذا الماكر اللئيم •
بيرون : ايها الخائن المحتال ، كيف صرت يهوذا ؟
هلفارن : انا يهوذا •
دماين : عار عليك اذاً ، يا يهوذا •
هلفارن : ماذا تقول ، يا سيدي ؟
بوايه : هيا ساعدوا يهوذا على شنق نفسه •
هلفارن : انت رجل غير أهل للثقة •
بيرون : قولك في محله • لقد شنق يهوذا نفسه متدليا من غصــن شجرة •
هلفارن : انا لا أسمح لاحد ان يهينني وجاهيا •
بيرون : لان ليس الك وجه يستحي •
هلفارن (يشير الى وجهه) : ما هذا اذاً ؟
بوايه : رأس مهرّج •
دماين : بل رأس حمار •
بيرون : هو بالحري رأس ميت منقوش على خاتم •

لنكفيل : بل وجه قطعة نقود رومانية قديمة تكاد تكون ممسوحة .

بوايه : لا بل هو قبضة سيف بيد قيصر .

دماين : هو وجه من عظمٍ منحوت يعلو سدادة قنينة .

بيرون : بل هو وجه فارس محفور على صفيحة .

دماين : أجل ، على صفيحة من رصاص .

بيرون : موضوعة على قبعة قالع الاسنان . والآن أكمل ، فلقد تركناك تستجمع صبرك .

هلفارن : لا بل أخرجتموني عن صبري .

بيرون : انت مخطيء . لقد خلقنا لك عدة جبهات .

هلفارن : انتم لم تجلبوا لي سوى الخزي والعار .

بيرون : سأتصدى لك عندما تصبح اسدا .

بوايه : لكن ، بما انه ليس سوى حمار ، دعوه ينهق . الوداع ، يا يهوذا السخيف . بالله عليك ، ماذا تنتظر كي ترحل ؟

دماين : آخر قسم من اسمه .

بيرون : هذا صحيح . أعده اليه . الوداع ، يا يهوذا العجوز ، يا أس البستوني .

هلفارن : هذا لا يدل على الكرم ، ولا على اللطف ، ولا على المحبة.

بوايه : هو ضوء للسيد يهوذا يستنير به اثناء الليل خوفا من ان تتعثر رجله فيسقط (ينسحب هلفارن) .

الاميرة : واأسفاه ! مسكين مكابي . كم تغاضى عن اهانات .

(يدخل ارمادو مسلحا وهو يمثل دور هكتور)

(اثناء هذا الحوار ، يقول بيرون بعض كلمات بصوت خافت

بيرون : خبىء رأسك ، يا أخيل البطل الهمام . ها هوذا هكتور قادم وهو مدجج بالسلاح .

دماين : عندما ستسقط مداعباتي على رأسي ، أود ان يتطرق السرور الى نفسي .

الملك : هكتور كان طرواديا . وما أبعد الفرق بينه وبين هذا البليد .

بوايه : ولكن ، هل حقا هذا هو هكتور ؟

دماين : أظنه لم يكن مفتول العضلات هكذا .

لنكفيل : ها ان فخذه أغلظ من فخذ هكتور .

دماين : أما عضلاته فلا تشبه التي نراها الان .

بوايه : كان عليه ان ينحفها قليلا .

بيرون : يستحيل على هذا ان يكون هكتور .

دماين : هو اما إله واما رجل عادي ، وسحنته كثيرة التبدل .

ارمادو (بلهجة الالقاء) : ان إله الحرب مارس ، المدجج بالسلاح ، الذي لا يغلب رمحه قد اهدى هكتور ...

دماين : جوزة طيب مذهبة .

بيرون : وليمونة .

لنكفيل : مزينة ببعض كبوش القرنفل .

دماين : وقد كانت مشطورة .

ارمادو : مهلا (يكرر) : ان إله الحرب مارس ، المدجج بالسلاح، الذي لا يغلب رمحه ولا يقهر ، أهدى هكتور . وريث صنوه

ايليون ، نفسا طويلا ليقاتل ، وكانت مهارته تتجلى مـن الصبح الى المساء ، خارج خيمته ، ما دمت انا القيّم على ازدهار نضارته وزهوه •

دماين : هذا قناع لستر الخديعة •

لنكفيل : بل هذا مظهر يمامة وديعة •

ارمادو : مولاي الكريم لنكفيل ، ارجوك ان تلجم لسانك •

لنكفيل : عليّ ان أرخي له العنان لانه يلاحق هكتور الرشيـــق راكضا •

دماين : حقا ، ان هكتور سريع القفز كأنه كلب سلوقي •

ارمادو : المحارب العزيز قد مات وأنتن • فيا اولادي الاحباء ، لا تزعجوا رفات المتوفي الذي تصرف كرجل قبل ان يرتاح من المعركة الى الابد • والآن لأكمل دوري • (للاميرة) : يا مليكتي الفاتنة ، ارجوك ان تعيريني سمعك •

الاميرة : تكلم يا هكتور الباسل ، لان حديثك يسرني •

(اثناء هذا الحوار ، يقول بيرون بعض كلمات بصوت خافت لتروني الذي يدخل وهو مجرد ما بزته)

ارمادو : دعيني أقبّل نعلي سموّك ، يا مولاتي الكريمة •

بوايه : هو يحب الأقدام •

دماين : لانه لا يمكنه ان يستخدم القضيب •

ارمادو (يعلن) : ان هكتور هذا قد فاق هنيبعل بمراحل •

تروني (بخشونة) : هي شريكتك في العمل ، يا رفيقي هكتور ، وقد مضى عليها شهران وهي حامل •

ارمادو : ماذا تقول ؟

تروني : بلى ، ان لم تقم بدورك كبطل طروادة النبيل ، فالفتـــاة المسكينة ستجد نفسها في مأزق حرج ، لانهـــا حبلى ، والجنين الذي يسرح ويمرح في بطنها ، هو حتما منك .

ارمادو : ما لك تشهّر بي أمام المسؤولين ؟ سأزهق روحك (ينتضي خنجره) .

تروني : اذآ ، يستحق ان يجلد بالسياط ، لانه أخصب جاكينات ، ثم ان يشنق لانه قضى على بمبايوس .

دماين : بمبايوس لا مثيل له .

بوايه : وشهرته واسعة .

بيرون : ان بمبايوس كبير ، وأكبر من الكبار ، وهو عظيم ، وأعظم من العظماء .

دماين : وقد جعل هكتور يرتجف هلعا .

بيرون : بمبايوس في غاية الانفعال ، وقد أمعن في اثارة أخصامه . فما عليك الا ان تحرضهم عليه .

دماين : سينقذهم هكتور .

بيرون : أجل ، وان لم يكن في عروقه دم يكفي عشاء برغوث .

ارمادو (يتقدم نحو تروني) : باسم القطبين الشمالي والجنوبي ، انـــا أتحداك .

تروني : انا لا أود ان أقاتل كرجل روسي . انا ارغب في المقارعـــة بالسيف (للمقاتلين) ارجوكم ان تدعوني أسترد سلاحي من

هكتور .

دماين : افسحوا المجال للشجعان الغاضبين .

تروني (يفك صدرته الارجوانية) : سأقاتل حتى ان كنت بالقميص فقط .

دماين : يا لك من محارب عنيد مصمم على الانتصار ، يا بمبايوس !

فالان (لأرمادو) : دعني أفك لك ازرارك ، يا معلم . ألا ترى ان بمبايوس يخلع ثيابه تأهبا للقتال ؟ ماذا تقصد ؟ أتريد ان تفقد سمعتك الطيبة ؟

ارمادو : العفو ، يا سادة ويا جنود . انا لا اريد ان أحارب وأنا بالقميص .

دماين : لا يسعك ان ترفض ، بعد ان تحداك بمبايوس .

ارمادو : يا أحبائي المخلصين ، انا أريد فقط ما أقدر عليه .

بيرون : فسّر كلامك .

ارمادو : الحقيقة المجردة في كل هذا ، اني لا أملك قميصا . وسأقاتل وأنا ألبس الصوف الخشن ، على سبيل التكفير عن ذنوبي .

فالان : هذا صحيح . ولقد اتتني توصية من روما بالامتناع عن الظهور مرتديا ثيابي الداخلية . ومنذ ذلك الحين ، انا مستعد لان أقسم بأنه لم يحمل غير رقعة نسيج من جاكينات ، يضمها الى صدره كتذكار عزيز .

(يدخل مركاد)

مركاد (للاميرة) : حفظك الله ، يا سيدتي .

الاميرة : اهلا بك ، يا مركاد ، مع انك تقاطع حفلتنا .

مركاد : انا مستاء ، يا سيدتي ، لان النبأ الذي احمله اليك يصعب عليّ ابلاغك اياه . ان والدك الملك ...

الاميرة : ماذا حل به ؟ هل ممات ؟ بربك اصدقني القول .

مركاد : أجل ، يا سيدتي ، وليس عندي من مزيد .

بيرون : إنسحب ، ايها الشجاع . فالعتمة اخذت تخيم على المشهد.

ارمادو : من جهتي ، انا أتنفس الصعداء . فيوم الانتقام قد بـزغ فجره بالنسبة اليّ من خلال ثغرة الاعتدال . غير انـي سأحظى بالتعويض كجندي أصيل (يخرج الشجعان) .

الملك (للاميرة) : كيف حالكِ الان ، يا صاحبة السمو ؟

الاميرة : هيىء كل شيء ، يا بوايه ، فسأرحل هذا المساء .

الملك : لا ، يا سيدتي . ارجوك ان تبقي .

الاميرة : أكرر عليك : هيىء كل شيء . اشكرك ، يا مولاي ، على ما تحيطني به من رعاية ، وأستحلفك من أعماق حزني ، ان تعذرني وأن تتغاضى بواسع حلمك وحكمتك ، عما بدر من مزاجي الساخر . واذا كنت تعديت حدود اللياقة فـي التحدث اليك بدون كلفة ، فالملامة تقع على وافر كياستك. (للملك) الوداع ، يا مولاي المبجل . ان القلب الجريح لا يسامح اللسان السليط المتطاول . لكني ، ارجـوك ان تعذرني ، لاني لم اشكرك بإسهاب على ما منحتني مـن تسهيلات .

الملك : ان الزمان ، في مراحله الدقيقة ، يستعجل كل امر نحـــو الخاتمة المنشودة • وغالبا ، عندما يكاد زمام الاحـداث يفلت من أيدينا ، يحل ما لا تبلغـه ابرع المرافعـــات والوساطات • ومهما حرّم الحداد البنـــوي على المحب المتفائل المصمم على الدفاع عن حقه المقدس يأبـــى ان يخسره مع ما حظي به بسودة من المطالب السمحاء ، بالرغم من غيوم الكدر التي تبعده عن هدفه • ان البكاء علـى فقد الاصدقاء ليس أجدى ولا أنفع من الابتهاج بالاصحاب الجـدد •

الاميرة : انا لا افهمك ، وهذا ما يضاعف احزاني •

بيرون : ان الكلام البسيط الصريح يصل بسهولة الى الأذن المتفهمة• ومن هذه الايضاحات ، عليكِ ان تدركي فكرة الملك • انني ، من اجل حبك ابنتها الفاتنة ، قد أضعت وقتـــي وتنكرت لوعودي • فجمالك ، يا سيدتي قد شـــوّه استقامتي وضعضع ذوقي وارادتي • واذا لاحظتِ عليّ بعض السماجات فلأن الهوى مشحون بالغرائب والتصرفات الصبيانية بين المرح والمجون الذي تفيض به العيـــون • وبالتالي لا حرج على النظر الذي يقع على شتى الاشكال والالوان من المظاهر والصور العجيبة ، فيتنقل مستطلعا من حقل الى حقل ، ومن موضوع الى موضوع ، باحثا عن المتعة • أجل ان هذه الامارات التي وسمك بها الهيـــام

والحنين ، ولاسيما فتنة عيونك الشاهدة على ضعفـــي
وزلتي ، قد شجعتني على اقتحام ما قد تلومينني عليه .
وهكذا ، يا سيدتي ، بما ان حبي هو صنيعتك ، تجدين ان
الذيول التي أثارها هذا الحب هي ايضا صنيعتك . انـــا
المقصّر بحق ذاتي ، لم أقبل بالخيانة الا لأظل امينا دائما
على عهدك انت التي جعلت مني وفيا وخائنا في آن واحد،
لتعززي ولائي لشخصك الحبيب . وهـــذه الخيانة ،
المحسوبة ذنبا في حد ذاته ، تسمو هكذا في خدمتـــك
لتصبح فضيلة محمودة .

الاميرة : لقد استلمت رسائلك وهداياك كعربون مودة ، وفي مجلسي
كعذراء لم أعتبرها الا من باب اللياقة ، ودعابة مرضية ،
وغزلا مستساغا لاستدراك ما فات من الوقت . فلم أهتم
كثيرا بها ، ولذلك اعتبرت حبك حسب هذه الظواهر كأنه
ليس اكثر من لياقة .

دماين : ان رسائلي تعدّت حدود اللياقة .

لنكفيل : وأنظاري ايضا .

روزالي : انا لم أتطلع الى الامور من هذه الزاوية .

الملك ارجوكِ ، في اللحظة الاخيرة ، ان تجودي عليّ بعطفـــك
وحلمك وعفوك .

الاميرة : الوقت قصير جدا ، على ما يبدو لي ، للبت في القضيـــة
نهائيا . كلا ، يا صاحب الجلالة ، لقد حنثتَ بوعـــدك

وارتكبت خطأ كبيرا لا يُغتفر . ارجوك ان تصغي اليّ .
فان كان ذلك بدر منك لاجل حبي ، وهذه حجة واهية لا
أقتنع بها ، لاني لا اثق بعهودك ، وان كنت مستعدا حقا
لان تستدرك الامور . اليك ما اعمله انا بكـــل بساطة :
انسحب بأسرع وقت ممكن الى احدى الصوامع النائية ،
وأمكث فيها حتى تظهر لي العلامات الفلكية الاثنتي عشرة
المرتقبة سنويا . واذا كان شظف العيش القاسي بعيدا عن
الناس لم يغير حرفا من العرض الذي بسطته لي بكـــل
مرارته . واذا كان الصقيع والصيام وحقارة المسكـــن
والملبس لم تذوي جميعها نضارة حبك النزيه ، واذا صمد
هيامك في وجه صعوبات هذه التجربة العسيرة ، فيمكنك
عند انتهاء العام ان تأتـــــي اليّ . وتطالب بي بموجب
استحقاقك الجديد . وهذه اليد النقية الممسكـــة الان
بيدك . ستكون حينئذ حلالا لك . وحتى مجيء ذلـــك
الزمان . سأكتم حزني في أعماق صدري منطوية علـــى
أساي ، وأمطره وابلا من دموعي السخينة حبا واجـــلالا
لذكرى وفاة والدي . فان أبيت الامتثال الى هذا الشرط ،
فلتنفصل يدي عن يدك . ولينسلخ قلبي عن قلبك الـــى
الابـــد .

الملك : اذا رفضت هذه التجربة او اية تجربة اخرى ؛ وغايتـــــي
السامية ان اخلص لك الود مدى العمر ، فليطفىء الموت

فجأة آنئذ نور عيني • ومنذ ذلك الوقت يصبح حبك
سجينا بين حنايا ضلوعي (يتحدث بصوت خافت الى
الاميرة) •

دماين (لكاترين) : انا ايضا يا صديقتي ، انا ايضا •

كاترين : أتمنى لك السعادة والصحة التامة ودوام العز ، يا سيدتي• وبالاضافة الى هذه الاماني ارجو لك ايضا حنواً مثلثاً •

دماين : لا يسعني الا ان اشكرك ، يا سيدتي الكريمة •

كاترين : كلا ، يا مولاي • أفضّل ان تمضي عليّ سنة دون ان أسمع ما يوجهه اليّ طالبو الزواج من أقوال معسولة• فارجع يوم يعود الملك الى قرب الاميرة • اذ ذاك ، ان كان لا يزال لديّ رصيد من الحب منحتك منه ما تشاء •

دماين : وحتى ذلك الحين ، سأظل خادمك المخلص الامين •

كاترين : ولكن ، لا تقسم على ذلك خوفا من ان تخلف بوعدك •

لنكفيل : ماذا تقول ماريا ؟

ماريا : في ختام الاثني عشر شهرا ، سأخلع ثوبي الاسود وألازم صديقي الوفي •

لنكفيل : اذاً سأنتظر بصبر • غير ان الوقت طويل ، طويل جدا •

ماريا : هذا الحل أنسب لك ، وان كنت شابة ربما لا أليق بك •

بيرون (لروزالي) : بماذا تتأمل سيدتي ؟ انظري اليّ يا معلمتي وتطلعي الى عيوني ، فهي مرآة قلبي ، واشفقي على توسلاتي المتواضعة التي تترقب ردك على أحر من الجمر • اطلبي

مني أية خدمة لأبرهن لك على حبي الصادق وتعلقي الجديد بك .

روزالي : لقد سمعت الكثير عنك يا سيدي بيرون ، قبل ان اعرفك. فلسان الناس الطويل يصفك بالساخر اللاذع ويقول ان لديك على الدوام مقارنات وتندّرات هازئة ، ترمي بها كل ما ومن تجده في متناول هزئك وتنكيتك الصاخب . ولانتزاع هذه الصفة السيئة من مخيلتك الخصبة ، اذا شئت ان تكسب قلبي الذي لا يسعك ان تستميله الا بهذه الوسيلة ، ستقضي سنة كاملة يوما بيوم ، في زيارة المرضى المتألمين ومحادثة المنازعين المعذبين ، فيكون شغلك الشاغل . وتبذل اقصى جهودك لرسم الابتسام على شفاه الموجوعين اليائسين من الشفاء .

بيرون : أي ان أضحك الموتى ، وأنتزع القهقهة من أفواه التعساء الباكين . وهذا مستحيل ، لان البهجة لا تستطيع التأثير على النفس البائسة ساعة النزاع الاخير .

روزالي : هذه وسيلة لخنق روح السخرية ، توفرها عوامل المسايرة التي يمنحها الضاحكون بصعوبة للمجانين . ان نجاح الكلمة الملائمة كامن في أذن سامعها لا على الشفاه التي تطلقها . فاذا كان المرضى الذين أصمّت آذانهم حشرجة النزاع الاليم يستسيغون سخرياتك الباطلة ، فثابر على

التمسك بنقيصتك ، وأنا أقبلك على علّتك ، وإلا تخلّص
من هذه الفكاهة المرة . وعندما تتحرر من هذه الشائبة
الفظّة ، اكون سعيدة جدا بما تبلغه من الاصطلاح .

بيرون : لا بأس بسنة مهما جرى من أمور . فأنا مستعد لان أقلع عن
دعاباتي طوال عام اقضيه في المستشفى .

الاميرة (تحيي الملك) : حسن ، يا مولاي العزيز . وبناء على ذلك
أستأذنك بالانصراف .

الملك : كلا ، يا سيدتي . اريد ان ارافقك .

بيرون : لا أود ان ينتهي حبنا كالمسرحيات القديمة ، بدون ان يحظى
الحبيب برضى حبيبته . فاللياقة تقضي بأن لا تختتم حفلتنا
بمهزلة حيال هؤلاء السيدات .

الملك : اذاً ، يا سادتي : هي سنة واحدة وتنقضي ، ثم يأتينا بعدها
الفرج .

بيرون : انما ، هكذا ، تكون المسرحية طويلة جدا وسئيمة مملة .

(يدخل ارمادو)

ارمادو : يا صاحب الجلالة ، تنازل و ...

الاميرة : أوليس هذا صديقنا هكتور ؟

دماين : هو فارس طروادة الشجاع بعينه .

ارمادو : أود ان أقبّل انامك الملكية وأستأذنك بالانصراف . لقد
بررت بوعدي وأقسمت لجاكينات بأن أتولى الحراثة مدة

ثلاثة أعوام حبا بها . ولكن ، يا صاحب العظمة الالمعي ، هل يرضيك ان تستمع الى الحوار الذي دار بين علمائنا لتمجيد البومة والعصفور ، كما يتحتم ان تكون خاتمة التمثيلية ؟

الملك : أدخلوا الممثلين حالا ، فأنا موافق .

ارمادو (يصرخ) : اقتربوا ، يا جماعة .

(يدخل هلفارن ونتنايل وفالان وبالور وغيرهم)

ارمادو (يشير الى هلفارن) : من هذه الناحية . ها هو فصل الشتاء ، ومن الناحية الاخرى ، فصل الربيع . الاول تمثله البومة ، والثاني العصفور ، فابدأ ، ايها الربيع .

أناشيد :

الربيع : عندما يبرز المضعف العطر والبنفسج الازرق
والنبتة المستمدة رونقها من لمعان الفضة المشرق
وزهرة الربيع النضرة الذهبية اللون تزدهي
وتكسو بروعتها البراري في هذا الفضاء غير المنتهي
يغرد العصفور عندئذ متنقلا فوق الاغصان يلتهي
هازئا بالزوج ، وهو ينشد ككوكوكو ، ككوكوكو .
ككوكوكو ، يا لها من لفظة ساخرة جارحة رتيبة
ترن بأسى في مسمع الزوجة الوحيدة الكئيبة .
عندما ينفخ الراعي في نايه اللحن الحنون

والبلبل يعلن للعاشـــق المشتاق ساعة المجـــون
وحينما يتناجـــى الطيـــور بزقزقـــات الفـــرح
وتغســـل الفتيات الثياب تحت الشمس بمـــــرح
تتنقل الطيـــــور على أفنان الشجـــــر وتنشرح
ساخرة من الزوج، وهو ينشد ككوكوكوكو، ككوكوكوكو،
ككوكوكو ، يا لها من لفظة ساخرة جارحـــــة رتيبة
ترن بأسى في مسمع الزوجـــة الوحيدة الكئيبة .

الشتاء : عندما يتدلى الماء المجلّـــــد من الاغصان والحيطان
والراعي شارد الافكار ينفخ في نايه أعـــذب الالحان
ويحمل رفيقه الحطب الى الموقدة ليغذي به النـــيران
يصب الحليب الصافي اللذيذ مثلجـــــا في قدره
ويجمد الدم في عروقه مشدوها واجما من ظلمة داره
وتنعق البومة الهائمة في الليل البهيـــم تُهو هوهو
تهوهوهو ، تبا له من نغم نشاز يقلق الجـــــوار
بينما المرأة البدينة المترهّلة تضع القـــدر على النار
والرياح الهوجاء العاتية تعصف خارجا بجنـــــون
والسعال يخنق صوت زوجها العجوز المغبـــــون
وأنف الخادمة الكسلى يحمرّ من قسوة برد كانون
ونعيق البومة الواجمة يعلو في وحشة الليل تهوهوهو
تهوهوهو تبا له من نغـــم نشاز يقلـــق الجوار

بينما المرأة البدينة المترهلة تضع القـدر على النار •

ارمادو : ما أصدق كلمات مركور الحاسمة بعد غناء أبولون القائل :

هذا هو طريقي وذاك هو طريقك • (يخرج الجميع) •

(انتهت)